بعض أبنية التعليق الشرطى
دراسة فى النحو العربى مع تطبيق
على أبيات من شعر المتنبى (*)

بعض أبنية التعليق الشرطى
دراسة فى النحو العربى مع تطبيق
على أبيات من شعر المتنبى (*)

يركـز هذا البحث على دراسة التراكيب التى لها دلالة شرطية ، ولم تأت علـى نمـط التـراكيب الشـرطية المذكورة فى كتب النحاة ، والمكونة من : أداة الشرط ← جملة الشرط ← جملة الجواب ، بأى صورة جاء عليها هذا التركيب . كـذلك لـم تـأت فى صورة ما يعرف عند النحاة بأجوبة الستة ، أى جواب الأمر والنهـى والاسـتفهام والتمنى والعرض والجحد ، فقد حظيت هذه الأنماط والصور الشرطية بنصيب وافر من الدراسة من قبل القدماء والمحدثين على السواء .

أما الدرس الذى لم ينل حظه من الدراسة بصورة واضحة ومنظمة فهو ما يتعلق بدراسة تلك التراكيب التى لها دلالة شرطية ، ولم تأت على أحد من الأنماط المذكورة . وأرجو أن يوفقنى الله لدراسته بصورة مرضية .

والمعـيار فى الحكم على هذه التراكيب بأنها شرطية ، هو المعيار الدلالى لا الشـكلى ، حيث يتوافر فى هذه التراكيب : الدلالة الشرطية من حيث التعليق ، وعدم القطع بحدوث الشرط ، والدلالة على الاستقبال .(١)

واللافـت للنظر فى هذه التراكيب أنها تشترك فى شئ واحد ، يكاد يكون قاعـدة أو قانـوناً فى مثل هذه التراكيب ، وهو اقتران الجزء الثانى منها بالفاء ،

(*) د. سيد الدسوقى – جامعة طنطا – كلية الآداب .

(١) أشـار الـنحاة إلى مسألة إزالة اللفظ عن جهته ، كما أشار البلاغيون إلى الأغراض المختلفة لتركيب ما ، لا يدل تركيبه الظاهر على تلك الأغراض (راجع الأصول ابن السراج ١٨١/٢ ، الأشباه والنظائر السيوطى ١٣٩/٤، من الأنماط التحويلية فى النحو العربى محمد حمامة عبد اللطيف (٧٥ – ٨٩) .

وكأنها – أى الفاء – هى المؤذنة بالشرط والدالة عليه . [١] أو يمكن القول بصورة أخرى إنها مما بقى من صورة التركيب الشرطى الأصلى المعروف فى كتب النحو، حيث كانت الفاء تقوم بربط الجواب بالشرط . [٢]

ولم يعالج النحاة العرب تلك التراكيب عند دراستهم للشرط أو أجوبة الطلب ، ولم يفردوا لها موضوعاً خاصاً بها ، وإنما جاءت إشارة بعضهم لها فى مواضع مختلفة ، كما فى كلامهم عن دلالة حرف الفاء واستخداماته المختلفة ، وعند دراستهم للمبتدأ أو الخبر ، وعند تناولهم للحذف ، وكذلك عند معالجتهم لموضوع إزالة الكلام عن أصله إلى شئ آخر . فدراسة النحاة لهذه التراكيب – إذن – لم تكن مقصودة لذاتها ، باعتبارها تراكيب شرطية ، ولكن يستنبط من كلامهم وتأويلاتهم مفهوم الشرط ودلالته .

والبحث فى دراسته لهذه الظاهرة يقوم على دعامتين :

أولاً : تأصيل هذه الظاهرة فى كتب النحو .

ثانياً : تحليل بعض هذه التراكيب تحليلاً نحوياً ودلالياً .

أولاً : تأصيل هذه الظاهرة فى كتب النحاة :

تعرض الخليل با أحمد الفراهيدى لمثل هذه التراكيب من غير أن يشير إلى الدلالة الشرطية الموجودة فيه ، مكتفياً بتفسير الفاء فيها بأنها بمعنى لام التعليل، وذلك فى قول الشاعر :

---

(١) فى حالات محددة عندما يأتى الجواب الشرطى فى صورة غير التى يجب أن يكون عليها ، وذلك عندما يكون الجواب جملة اسمية أو طلبية أو مسبوقاً بـ(ما – قد – لن – س – سوف) .

(٢) راجع كلام ابن هشام فى كتابه (مغنى اللبيب) ، حيث شبه الفاء المنبئة بالشرط باللام الموطئة للقسم من جهة الدلالة (١/١٧٨) .

لنا هضبةٌ لا يدخل الذُّلُّ وسطها ويأوى إليها المستجيرُ فيعصما

أى ليُعْـــصـــمـــا [١]

ولا نستطيع أن نُنْكر هذا المعنى فى ذلك السياق ، ولكن أما يمكن من جهة أخرى أن نأول هذا التركيب بأحد التراكيب الشرطية التالية :

- **إذا أوى إليها المستجير عُصِم .**
- **إن يأو إليها المستجير يُعْصمْ .**
- **من يأو إليها يعصمْ .**

حـيث تـتحقق المعانـى الشرطية فى التركيب المذكور ، من جهة تعلق الحمايـة بالإيـواء إلـى الهضبة ، ومن جهة حدوث ذلك مستقبلاً لكل من يطلب الحمايـة كمـا لا يتعارض مفهوم الشرط مع سياق البيت فى مجال الفخر ، حيث تعطـى الدلالة الشرطية ما يشبه القانون أو المبدأ الذى يلتزم به هذا المكان ، وهو الحماية لكل من يأوى إليه ، ويطلب الحماية فى أى وقت ، ومن أى شخص .

بـيد أنـنا نرى أن تفسير الخليل للفاء تفسيرٌ نحْوى شكْلى ، يحاول به أن يفسر علة نصب الفعل (يعصما) فى هذا الموضع .

وللزجاجي نص فى مسألة نصب الفعل فى الجواب ، تقترب مما ما ذهبنا إليه من تأويل التركيب الذى ذكره الخليل بالشرط ، يقول فيه " كلُّ شئ كان جوابه بالفاء منصوباً ، كان بغير الفاء مجزوماً " . [٢]

ونفهم من كلام الزجاجى شيئين :

الأول : إن الفاء مؤذنة – كما ذكر ابن هشام – بالدلالة الشرطية . [٣]

الثانـى : أن النصـب فـى جواب بعض التراكيب ذات الدلالة الشرطية طارئ ،

---

(١) الخليل – الجمل فى النحو ص٣١٣ .

(٢) الزجاجى – الجمل ، ص ١٩٣ .

(٣) راجع ما نقله السيوطى عن ابن هشام فى الأشباه والنظائر ، ١٣٩/٢ .

والأصـــل فيه الجزم ، باعتبار أن هذه التراكيب فى الأصل شرطية دلالةً وشكلاً ، ثم تحررت من الشكل وبقى المضمون .

ويستطرد الزجاجى فى السياق نفسه ، نافياً أن تكون علة نصب الفعل فى الجـــواب علـــة نحـــوية ، ولكنّ العلة فيه معنوية ، وهى مخالفة الثانى للأول يقول " وجمـــيع ما ينتصب من الجوابات بالفاء ... فإنما ينتصب لمخالفة الثانى الأول ، وأنـــه لا يمكـــن عطفه " . (١) وهو بهذا يبعد دلالة الفاء على العطف فى التراكيب ذات الدلالة الشرطية .

بـــيد أن آراء الخلـــيل بن أحمد فى التراكيب التى لها دلالة شرطية كانت أكثر وضوحاً وتفضيلاً فيما نقله عن تلميذه سيبويه فى كتابه (الكتاب) ؛ بالإضافة إلـــى تعلـــيقات ســـيبويه وآرائه فيما يتعلق بتلك التراكيب . وكانت القرائن الدلالية واللفظـــية ممـــا عول عليه فى الحكم عليها بأن لها دلالة شرطية . ومن ذلك قول ســـيبويه فـــى تعليقه على التراكيب (أتيتنا أمس نعطك اليوم) " أى إن كنت أتيتنا أمس أعطيناك اليوم ، هذا معناه ، فإنْ كنت تريد أن تقرره بأنه قد فعل فإنّ الجزاء لا يكون ؛ لأن الجزاء إنما يكون فى غير الواجب " . (٢)

ومـــن تعليق سيبويه على التراكيب يتبين لنا أن حكمه على التراكيب بأنه ذات دلالة شرطية منطلق من شيئين :

١- جزم الفعل فى الجواب (نعطك) .

٢- قصد الإرادة ، أى قصد المتكلم للدلالة الشرطية ، فلو كان قاصداً غيرها ، أى التقريـــر والقطع بحدوث الفعل ، فإن هذا التركيب لا يؤول بالشرط ، لأن الجزاء إنما يكون على حد تعبيره (فى غير الواجب) . (٣)

أما جزم الفعل فى الجواب فى تلك التراكيب . فليس وارداً فى جلّها ، وأمَّا

---

(١) الزجاجى : الجمل ، ص ١٩٣ .

(٢) سيبويه : الكتاب ، ٣/٩٤ .

(٣) راجع ما كتبه عن التراكيب (آتى الأميرَ لا يقطعُ اللّصَ) ٣/١٠١ .

القصـــد فهـــذا مما نعوّل عليه فى الحكم على تلك التراكيب بأن لها دلالة شرطية .

وفى سؤال سيبويه لأستاذه الخليل عن التركيبين :

- " الذى يأتينى فله درهمان " .
- " وكلُّ رجلٍ يأتينى فله درهمان " .

كـــيف يكـــون لهمـــا دلالة شرطية ، وما علة تأويلهما بالشرط ؟ فأجابه : " لأنه جُعِل الآخرُ جواباً للأوّلُ ، وجُعل الأوّل يجب له الدرهمان " . (١) فالعلة إذن فـــى وجـــود دلالة التعليق ، فقد علق حصوله على الدرهمين بإتيانه . وهذا – كما نرى – تفسير دلالى .

ثـــم يـــزيد الخليل الإجابة وضوحاً ، ومفسراً لتلميذه سبب وجود الفاء فى هـــذين التـــركيبين قائلاً : " فدخلت الفاء ها هنا كما دخلت فى الجزاء إذ قال : إن يأتينى فله درهمان ، وإنْ شاء قال : الذى يأتينى له درهمان ، كما تقول : عبد الله له درهمان ، غير أنه إنما أدخل الفاء لتكون العطية مع وقوع الإتيان ، فإذا قال له درهمـــان ، فقـــد يكـــون ألا يوجب له ذلك بالإتيان ، فإذا أدخل الفاء ، فإنما يجعل الإتيان سبب ذلك ، فهذا جزاءُ وإنْ لم تجزم ، لأنه صلة " . (٢)

---

(١) سيبويه : الكتاب ، ١٠٢/٣ .

(٢) المرجع السابق ، وانظر أيضاً :

- أبو على الفارسى : الإيضاح العضدى ٩٦/١ ، ٩٩ .
- ابن جنى : سر صناعة الإعراب ٢٥٨/١-٢٥٩ .
- المرادى : الجنى الدانى فى حروف المعانى ، ص٧٠-٧١ .
- ابن هشام : مغنى اللبيب ، ١٧٨/١ .
- السيوطى : الأشباه والنظائر ١٣٨/١ ، ١٣٩/٢ .

وللســـيوطى – فـــى مثل هذه الأمثلة – موقفان متباينان : الأول جعل الفاء من قبيل العطـــف ، فعطفـــت الخبر على المبتدأ . والثانى جعلها – فيما نقله عن ابن هشام – لربط شبه الجواب بشبه الشرط . انظر الأشباه والنظائر ٦٢/٢، ٦٣ .

وعلـيه فـإن للفـاء الموجـودة فى الجواب فى هذا التركيب وغيره من التـراكيب المماثلـة دوراً ذا أهمية فى التأويل الشرطى ، أو هى – كما أشار ابن هشـام – مـؤذنة بالجزاء ، وبقية مما تبقى من التركيب الشرطى المعروف . كما نفهم أيضاً من إجابة الخليل أن الجزم ليس عاملاً أو شرطاً مهماً فى مسألة التأويل الشـرطى . فقد يأتى التركيب على غير النمط الشرطى المعروف ، كما يأتى غير مجـزوم ، ولا يمـنع ذلك من الحكم بأن دلالته شرطية ، لأسباب تتعلق بالتركيب اللفظى أو الشكلى كما وضح ذلك .

وقد عدَّد سيبويه شواهد قرآنية جاءت على النمط السابق ، وفسَّرها بالدلالة الشـرطية ، معـتمداً على ما وضحه له أستاذه الخليل ، من معنى التعليق ، ودلالة الفاء على الجزاء ، بالإضافة إلى دلالة السياق . ومن ذلك قوله تعالى :

- ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار ، سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم** ﴾ (١)
- ﴿ **قل إنَّ الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم** ﴾ (٢)

ونقـل للسيوطى أيضاً عن ابن هشام فى سبب عدم جزم الذى فى التركيب المتضمن معنى الشرط (الذى يأتينى فله درهم) نجمله فى النقاط الثلاثة التالية :

١- إنْ (الـذى) أشـبهت لام التعريف الجنسية من جهة كونها وصل إلى وصف المعارف بالجملة .

٢- جملة الصلة لابد أن تكون معلومة للمخاطب ، والشرط لا يكون إلا مبهماً .

٣- (الـذى) مع ما يوصل به اسم مفرد ، والشرط مع ما تقتضيه جملتان مستقلتان راجع الأشباه والنظائر ٣٠٤/٢-٣٠٥ .

(١) سورة البقرة – آية ٢٧٤ .

(٢) سورة الجمعة – آية ٨ – حول هذه الآية انظر ما كتبه :

- أبو على الفارسى – الإيضاح العضدى ٩٦/١ ، ٩٩ .
- ابـن جنى – سر صناعة الإعراب ٢٦٧/١ ، وفيه رد على سؤال : هل يصح الجـواب بمـا هـو واقع لا محالة ؟ حيث وضَّحَ أن الفرار من الموت فى ظن الكافرين ممكن ، لهذا جاء الجواب وفق تصورهم وظنِّهم .

• ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ [١]

والمتأمل فى الدلالة السياقية فى الآيات السابقة يجد أنها تدعم التأويل الشرطى وتقويه . فالسياق فيها يتطلب وضع قانون أو مبدئ يبين أن كل من يفعل فعلاً من الأفعال المذكورة فى الجزء الأول من كل آية فى أى زمان وأى مكان ، سيجازى بالجزاء المناسب الموضح فى كل آية من الآيات السابقة .

كما عدَّ سيبويه بعض التراكيب التى أتت على صورة جملة الاستثناء الناقص المنفى من جملة التراكيب ذات الدلالة الشرطية ، رغم تباين الصورة التركيبية التى تأتى عليها كل منهما ، إلا أن المعنى أو الدلالة الشرطية هو الخيط الذى يربط بينهما . [٢] ومن ذلك قوله تعالى : " **وما لهم به من علم إلا اتباع الظَّن** " . [٣]

أى إن كان لهم به علم فهو اتباع الظن .

وقول النابغة :

حَلَفْتُ يَميناً غيْرَ ذى مثْنَويَّة ولا عِلْمٌ إلا حُسْنَ ظَنَّ بِصَاحب

أى إن كان علم فهو حسن ظن بصاحب .

وقول الأبهم التغلبىَ :

ليْسَ بينى وبين قَيْسِ عِتَابٌ غير طَعْنِ الكلَى وضَرْبِ الرِّقَابِ

---

(١) سورة البروج – آية ١٠ .

(٢) إلى جانب التقارب الشرطى بين التركيبين المذكورين ، هناك تقارب دلالى آخر بينهما فيما يخص معنى التخصيص أو القصر مع اختلاف صورة الأداة المؤدية لهذا المعنى فيها . فإذا كان معنى القصر فى جملة الاستثناء الناقص المنفى يؤدى بالنفى الذى يسبق (إلا) ، فإنه فى التركيب الشرطى المؤول بها يؤدى بأداة الشرط (إنْ) التى فيها معنى الشك وعدم التحقق ، والفاء التى تفيد معنى التخصيص فى هذا التركيب .

(٣) سورة النساء– آية ١٥٧ .

أى إن كان عتاب فهو طعن الكلى وضرب الرقاب. (١)

وربمـــا كان لطبيعة الموضوعات التى استخدم فيها هذا النمط للدلالة على الشـــرط دور فى إيثار المجئ بها على هذا النمط من التركيب ، حيث تتسم طبيعتها بالجدية والصرامة ، ولا مجال فيها للاحتمال أو المواربة .

ولابـــن الســـراج جهـــد واضـــح فى دراسة تلك التراكيب بوجه خاص ، وغيـــرها مـــن التـــراكيب التى أزيلت عن جهتها الأصلية بوجه عام . وهو عندما يتعـــرض لدراســـة مثل هذه التراكيب فإنه يتتبع المسألة من جذورها ، مبيناً الوجه العمـــيق مـــنها . ويبدو أنه فى ذلك متأثرٌ بالمنهج الأصولى فى الدراسة ، لذا جاء عنوان كتابه موضحاً ذلك (الأصول فى النحو) .

فـــابن الســـراج نظر إلى المسألة كما ينظر إليها الآن (أصحاب المدرسة التحويلـــية) ، وهذا سبق – فى الحقيقة – يسجل للنحويين العرب ، باعتبار أن هذه التـــراكيب ذات الدلالـــة الشرطية تمثل البنية السطحية (Surface Structure) ، وأن الدلالة الشرطية لهذه التراكيب موجودة فى البنية العميقة (Deep Structure) لهـــذا التـــركيب الســـطحى ، والمرحلة التى بين البنية العميقة والبنية السطحية هى مرحلة التحول من العمق إلى السطح . وهذا ما درسه علماء النحو المحدثون تحت

---

(١) راجع سيبويه – الكتاب ٣٢٢/٢ – ٣٢٣ .

ممـــا يلاحظ أيضاً فى تأويل الأنماط السابقة التى ذكرها سيبويه أنها أتت على نمط معين مـــن الجمـــل الشرطية ، عرفت بالجمل الشرطية المحول جوابها ، أو ذات الجواب غير المباشـــر ، حـــيث نجد الأجوبة المذكورة ليست هى الأجوبة المباشرة ، وإنما هى أجوبة محـــوّلة عن جواب مباشر غير مذكور . على سبيل المثال ما ذكره سيبويه فى بيت الأبهم التغلبـــى حيث أوّل التركيب فيها بـــ (إن كان عتاب فهو طعن الكلى وضرب الرقاب) ، فالجـــواب المذكور محوّل عن الجواب المباشر (إن كان ... عاتبنا) ... ويحدث التحويل لأغراض دلالية . راجع ذلك بالتفصيل فى رسالتنا للدكتوراه (الجملة الشرطية فى ديوان المتنبى) . فى الفصل الخاص بالأجوبة الشرطية المحوّلة .

عـــنوان (Transformation Grammer) موضـــحين القـــواعد التحويلـــية (Transformational Rules) التـــى تفســـر ما حدث للتركيب عند انتقاله من العمـــق إلى السطح من حذف أو زيادة أو تقديم أو تأخير إلى غير ذلك من القوانين التى ذكرها أصحاب هذه النظرية .

ولا نزعم أن ابن السراج كانت الصورة الواضحة للنحو التحويلى كما هى موجودة عند علماء اللغة المحدثين بكل قوانينها وتفصيلاتها ، ولكننا نؤمن بأن رأيه شـــارك فـــى صـــياغة تلك النظرية ، وإن تباعدت القرون بينه وبين أصحاب هذه النظرية فى العصر الحديث . (١)

يقـــول ابـــن السراج " من شأن العرب إذا أزالوا الكلام عن أصله إلى شئ آخر غيروا لفظه ، وحذفوا منه شيئاً ، وألزموه موضعاً واحداً ، إذا لم يأتوا بحرف يـــدل على ذلك المعنى ، ولم يصرفوه ، وجعلوه كالمثل ليكون ذلك دليلاً على أنهم خالفوا به أصل الكلام " . (٢)

ومـــن كلام ابن السراج السابق نرى أنه أشار إلى البنية العميقة بـــ(أصل الكـــلام) ، وإلى البنية السطحية بـــ (شئ آخر) ، وإلى العملية التحويلية بـــ(غيروا لفظـــه ، وحذفوا منه شيئاً) ، وتظل البنية السطحية فى صورتها التى وصلت عليها شاهدة على العملية التحويلية التى حدثت لها عندما تحولت من العمق إلى السطح ، وتلك هى الملامح الأساسية التى ميزت المدرسة التحويلية فى العصر الحديث .

فـــإذا عـــدنا لدراســـة نـــص ابن السراج فى ضوء التراكيب ذات الدلالة الشـــرطية ، فإنـــنا نجد أن ما حدث لتلك التراكيب هو نوع من أنواع التحويل عن التـــركيب الشرطى الأساسى ، عن طريق الحذف والتغير فى شكل النمط الشرطى الأساســـى ، وفـــى طبيعة الإعراب الخاصة به ، ولكن هذا التحويل لم يلغ الرباط

---

(١) انظر د. عبده الراجحى – النحو العربى والدرس الحديث – الفصل الأخير .

(٢) ابن السراج – الأصول ١٨١/٢ .

الدلالـــى الذى يربط أصل التركيب أو البنية العميقة – إن شئت – بالبنية السطحية ، متمـــثلاً فـــى الدلالـــة الشرطية ، أو المفهوم الشرطى ، وإلى هذا المعنى أشار ابن الســـراج فـــى نصـــه التالى " ... وإذا أزيل الكلام عن جهته لمعنى فحقه ألا يزال بضـــده، ولا يتصـــرف فيه التصرف الذى له فى الأصل ، إلا أن يقول العرب شيئاً فنقوله " . (١)

ونفهـــم من النص السابق لابن السراج أنه يوضح لنا شيئاً آخر فى العملية التحويلـــية ، وهـــو الغرض من التحويل . فالتحويل من وجهة نظره لا يعد عملية عبثـــية ، ولكن له هدف ، هو الوصول إلى معنى من المعانى ، وهو إذْ يهدف إلى ذلـــك مفيد بشرط ألا يكون ضد المعنى العميق أو الأصلى ، وإنما قد يحدث لتوسيع معنى أو لغرض من الأغراض التى يهدف إليها الكاتب أو الشاعر .

أمـــا قوله " ولا يتصرف فيه التصرف الذى له فى الأصل " ففيه بيان بأن التـــركيب السطحى قد أخذ شكلاً جديداً يختلف عن الشكل الأصلى ، ولا يحق لنا أن نتصـــرف فـــيه تصـــرفنا مع التركيب الأصلى . فالتركيب الشرطى العميق يتطلب (أداة شـــرط جازمة + فعل مضارع مجزوم بالأداة + فعل مضارع مجزوم بالأداة ذاتهـــا) . فـــأداة الشـــرط والجـــزم فى فعلى الشرط والجواب مما يميز التركيب الأصـــلى، وهـــذا مما لا نجده فى التركيب السطحى ، ومن ثم فتعاملنا مع التركيب السطحى يختلف عن تعاملنا مع التركيب الأصلى للشرط .

بهـــذا التصـــور الواضـــح والعميق يتعامل ابن السراج مع التراكيب ذات الدلالـــة الشـــرطية فأشـــار بداية إلى أن التصور للمعنى هو الذى يدفع المتكلم إلى اختـــيار التراكيب المناسبة لهذا المفهوم أو التصور ، فقال : " فإذا أرادوا أن يجعلوا الفعـــل ســـبباً للتأنى جاءوا به فى الجزاء وفيما ضارع الجزاء " . (٢) وقوله (فيما

---

(١) ابن السراج : الأصول فى النحو ١٧٩/٢ .

(٢) ابن السراج : الأصول فى النحو ١٨١/٢ .

ضارع الجزاء) يوضح أن ثمة تراكيب تشبه الجزاء معنى لا شكلاً ، حيث جاءت الأمثلة المضارعة للجزاء تختلف بصورة أو بأخرى عن تركيب الجزاء الأصلى ، مثل أجوبة الستة ، وتراكيب أخرى مثل (اتقى الله امرؤ وفعل خيراً يثبْ عليه) ، وقول الشاعر (وألحق بالحجاز فأستريحا) ، وغيرها من التراكيب الأخرى التى تتفق فى تحقيق مضمون الشرط من جهة التعليق وعدم القطع فى الحدث . وقد وضح ابن السراج أن التركيب الأول المذكور مؤول عن (ليتق الله امرؤ ... يثب عليه) ولا بأس أن يؤول أيضاً – أو على حد تعبير التحويليين – محوّل عن التركيب الشرطى (إنْ اتقى الله امرؤ وفعل خيراً يثبْ عليه) ، كما وضح أن التركيب الثانى السابق مؤول أو محوّل عن (إنْ ألحقْ استرحْ) . (١)

ثم تطرق ابن السراج إلى بيان وظيفة الفاء الواقعة فى التراكيب ذات الدلالة الشرطية – كما وضح الخليل من قبل – (٢) فـ(إنهّا) إذا دخلت ضارع

---

(١) راجع المرجع السابق ١٨١/٢ .

ناقش ابن السراج سبب نصب الشاعر للفعل الواقع فى الجواب الذى على غير الشرط (فأستريحا) ، وجعل ذلك من قبيل الضرورة الشعرية التى تجعل الشاعر يعطف وينصب ، وأشار إلى أن هذا لا يقع إلا فى الشعر فقط .

ولابن السراج كلام دقيق فى هذه المسألة منه قوله " ومع ذلك فإن الإيجاب على غير الشرط أصل الكلام ، وإزالة اللفظ من جهته فى الفروع أحسن منها فى الأصول ، لأنها أدلّ على المعانى " ولعل ابن السراج يقصد بذلك أن الجواب على التراكيب ذات الدلالة الشرطية ، التى لم تأت على صورة الشرط المعروف هى أصل الكلام ، حتى لا يلتبس التركيب بغيره من التراكيب التى ليس لها دلالة شرطية . ثم إنّ التغيير الذى يحدث فى لفظ جواب غير الشرط ، وهو فرع باعتبار الأصل الذى هو التركيب الشرطى المعروف ، خير من التغيير الذى يحدث فى جواب التركيب الشرطى الأصلى ، لأن التغيير فى حد ذاته فى الفروع دال على المعانى ، حيث أفاد النصب فى الجواب (فأستريحا) دلالة السببية والاتباع ومخالفة الثانى للأوّل .

(٢) راجع البحث ، ص٢-٣ .

الكلام الجزاء " . [١]

ويبين ابن السراج فى موضع آخر أن تحويل البنية العميقة (التركيب الشرطى) إلى بنية سطحية (تركيب ذات دلالة شرطية) ، تختلف عنها شكلاً ، يأتى لعلة ، ويمثل لذلك بالبنية السطحية (الذى يأتينى فله درهم) المحوَّل) عن (من يأتنى فله درهم) ، معلقاً على ذلك بقوله " إلا أنَّ الفرق بين الذى وبين الجزاء الخالص أن الفعل الذى فى صلة (الذى) يجوز أن يكون ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ، والجزاء لا يكون إلا مستقبلاً " .[٢] فالغرض من الإتيان بهذا التركيب الذى يضارع الجزاء هو توسيع الدلالة الزمنية للفعل المضارع الذى يأتى بعد الإسم الموصول ، فيجعله دالاً على الزمن الماضى والحاضر والمستقبل . وهذا – كما أشرنا من قبل– يجعل مضمون مفهوم التركيب ذات الدلالة الشرطية بمثابة القاعدة أو القانون الذى يصلح للتطبيق فى أى زمان ، فلا حدود زمنية له . فالشخص الذى أتاه فى الماضى أو يأتيه الآن ، أو سيأتيه مستقبلاً له درهم .

ويبين ابن السراج أن الفاء فى البنية العميقة للتركيب السابق غير موجودة ، ولكنها وجدت عندما تحول التركيب من البنية العميقة إلى البنية السطحية ، لتدل على مضارعة التركيب للجزاء ، يقول ابن السراج ، والأصل فى جميع هذا طرح الفاء ، وأنت فى ذكرها مخيَّر إلا أنها إذا دخلت ضارع الكلام الجزاء ، ويبين أن الخبر من أهل الفعل ... فالفاء إذا دخلت فى خبر (الذى) أشبه الجزاء ، من أجل أنه يقع الثانى بالأول " . [٣]

إنَّ وجود الفاء فى البنية السطحية المذكورة ، وإن كانت قد قامت بوظيفة إلحاقها بالبنية العميقة ، وهو ما عبر عنه ابن السراج بـ (مضارعة التركيب

---

(١) ابن السراج – الأصول فى النحو – ٢٧٢/٢ .

(٢) المرجع السابق ، ٢٧٣/٢ .

(٣) ابن السراج : الأصول فى النحو ٢٧٣/٢.

وانظر أيضاً : الإيضاح العضدى ٩٦/١-٩٩ .

بالجزاء) ، فإنَّها لم تلغ ما للبنية السطحية من معان قد لا تدل عليها البنية العميقة ، يقــول ابن السراج " وإذا جاءت الفاء فحقّ الصلة أن تكون على اللفظ الذى يحسن فــى الجــزاء فى اللفظ ، وإنْ اختلف فى المعنى " [1] ، أى وإن أتى بمعان جديدة ، ربما لا تكون فى معنى البنية العميقة للتركيب السطحى .

ويمكن توضيح التحوّل من البنية العميقة إلى البنية السطحية بالرسم التالى :

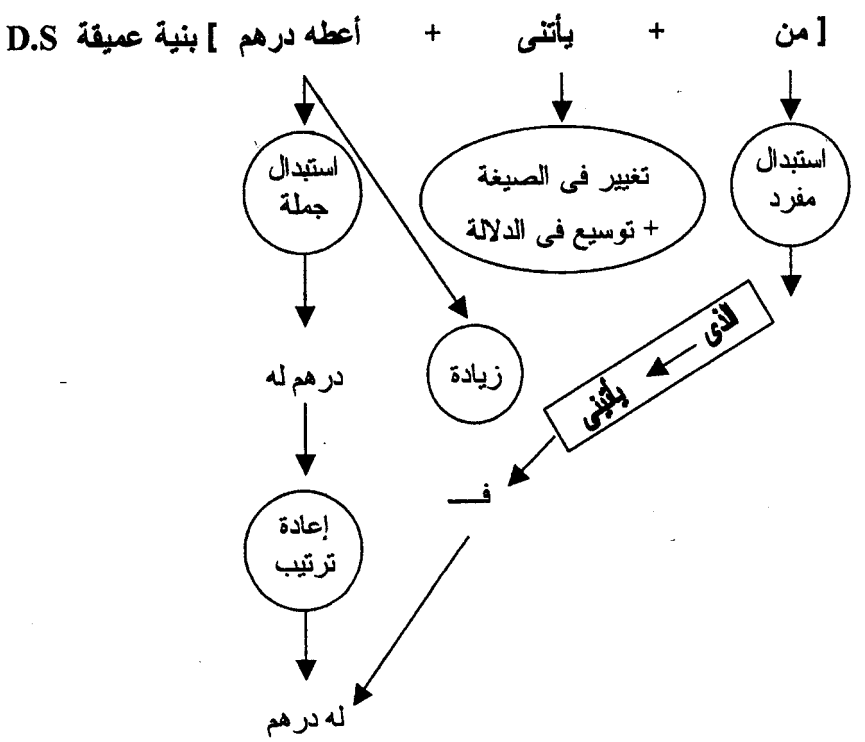

[الذى يأتنى + فـــ + له درهم] مبنية سطحية S.S

---

(١) المرجع السابق .

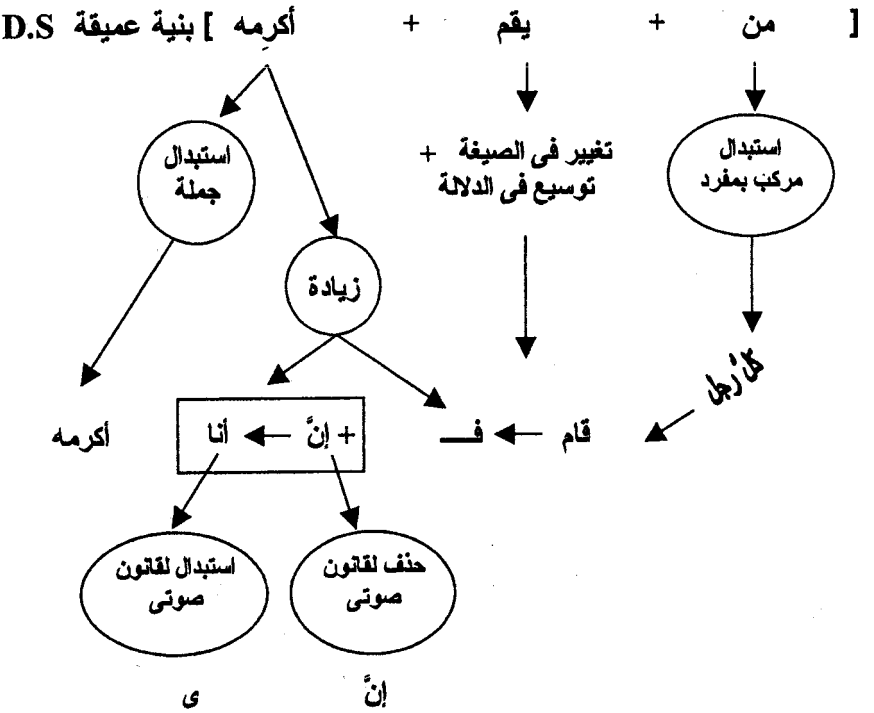

[كلُّ رجل + قام + فـ + إنّى أكرمه] بنية سطحية S.S

وبـوجه عـام فـإنَّ ابن السراج لا يُعوّلُ على اللفظ كثيراً فى حكمه على التراكيب بأنها ذات دلالة شرطية ، وإنما اعتماده فى ذلك على المعنى ، ويمكن أن نفهم ذلك من قوله " إذا جاز أن يلى (الذى) من الأفعال ما لا يلى (إنْ) ، وكان المعنى مفهوماً غير مستحيل ، فلا مانع يمنع من إجازته " [١]

ولابن جنى فى موضوع التراكيب ذات الدلالة الشرطية آراء وتعليقات لا تختـلف كثيراً عن آراء سابقيه ، باستثناء ما انفرد به من الإتيان بأنماط جديدة نحو (حسـبته شتمنى فأثب عليه) ، حيث جعل ابن جنى الفعل (حسبته) فى التركيب المذكـور يقـوم مقام أداة الشرط (إنْ) من جهة المعنى ، حيث لم يُفِدْ القطع فى الشرط . كما أشار إلى وظيفة الفاء فيه ، وقد أطلق عليها فاء الاتباع ، حيث قامت

---

(١) ابن السراج : الأصول فى النحو – ٢/٢٧٣ .

بالـــربط الشـــرطى ، وإلحاق التركيب بالشرط ، ثم يوجز ابن جنى ما سبق بقوله (ألا ترى) أن معنى الكلام (إن شتمنى وثبت عليه) . [١]

والســـؤال الذى نطرحه دائماً ، وربما يكون متكرراً ، ولكنه ذات أهمية ، وخاصة فى هذا البحث هو : لماذا عدل المتكلم عن البنية العميقة للتركيب الشرطى (إن شـــتمنى وثبت عليه) إلى البنية السطحية (حسبته شتمنى فأثب عليه) ؟ وإن لـــم يكـــن هناك علة ، فلا قيمة – من وجهة نظرنا – لعملية التحويل هذه . فدلالة البنية العميقة تشير إلى أن الشتم لم يقع ، ولا يُظن أنه وقع ، ولكنه إن وقع مستقبلاً يقع الوثب . أما البنية السطحية فدلالتها تشير إلى أن المتكلم ظن أو وقع فى سمعه علـــى ســـبيل الخطأ أن شخصاً شتمه ، فكاد أن يثب عليه ، لولا تداركه الموقف ، وعلمه أن الشتم لم يقع .

هـــذا المفهوم الدقيق للموقف يجعل المتكلم يختار من التعبيرات والتراكيب ما يتناسب مع التصور الدقيق للموقف وملابساته ، مما يجعله يقوم بعملية التحويل مـــن البنية العميقة إلى البنية السطحية ، حتى تتناسب مع التصور الجديد . ويمكن توضـــيح الـــتحولات التـــى مـــرَّ بها التركيب السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية بالشكل التالى :

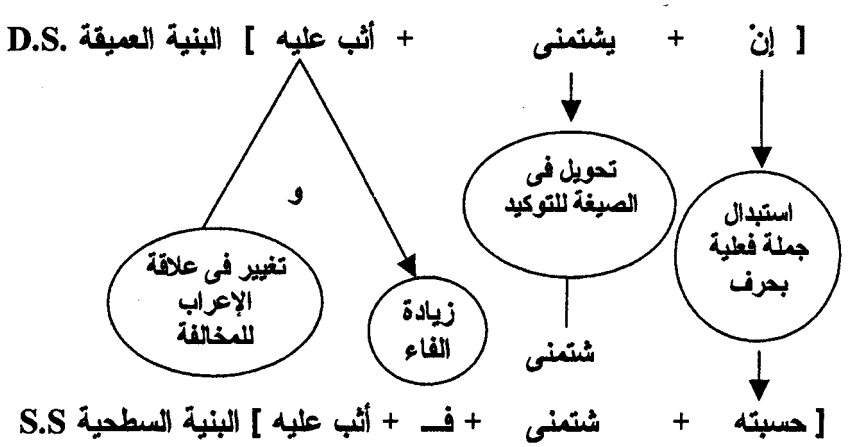

---

(١) ابن جنى : سر صناعة الإعراب – ٢٥٦/١ .

وقـد عوّل ابن يعيش فى حكمه على التراكيب ذات الدلالة الشرطية بأنها تضـارع الشـرط أو الجـزاء على المعنى لا على اللفظ . فقد يأتى التركيب على صـورة الإخـبار ، ولكن معناه غير ذلك . مثال ذلك (اتقى الله امرؤ وفعل خيراً يـثبْ عليه) . [١] فقد جعل العلة فى جزم المضارع (يثبْ) هو وقوعه جواب ما يأتـى بمعنى لأمر " لأنّ العلة فى جزم جواب الأمر إنما كانت من جهة المعنى لا مـن جهـة اللفـظ . وإذا كـان من جهة المعنى لزم فى كل ما كان معناه معنى الأمر ".[٢] وتقدير الكلام عنده (ليتق الله وليفعل خيراً) ، ليس المقصود عنده هو الإخبار بأن إنساناً قد اتقى الله .

وقـد مـّرت البنية العميقة للتركيب المذكور بمرحلتين ، كان يتم فى كل مـرحلة تحوير فى دلالة جملة الشرط مصحوباً بتحويل فى اللفظ ، مع الحفاظ على الـرابط الدلالـى للتركيب الشرطى ، وهو مسألة التعليق ، وعدم المساس بتركيب جملة الجواب التى بقيت كما هى على دلالتها ولفظها .

ففـى المرحلة الأولى تم تحويل دلالة جملة الشرط من الدلالة على عموم الزمن ، وحرية الاختيار ، إلى دلالة الحث والدفع على فعل ما يؤمر به مستقبلاً ، وتطلـب هذا التحويل الدلالى تحويلاً فى اللفظ ، فجاءت جملة الشرط على صورة فعل الأمر المصحوب باللام الدالة على الحث وتقوية الهمة .

وفـى المرحلة الثانية ، وهى تمثل المرحلة الأخيرة أو البنية السطحية ، تم تحويل فى دلالة جملة الشرط ، من الحث على التقوى وفعل الخير والتشجيع عليه، إلـى الاستجابة لهذا النصح والإرشاد وقد عبر عن تلك الاستجابة بما تم من تحويل فـى اللفظ إلى ما يشبه الإخبار ، ولكنه فى الحقيقة ذات دلالة شرطية . وقد حافظ علـى هـذا المضـمون الشرطى بقاء تركيب جملة الجواب كما هى على دلالتها

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل – ٤٩/٧ ، وقد ذكره سيبويه ، راجع البحث ، ص٣ .
(٢) المرجع السابق .

ولفظهـــا . ولـــم يكن ذلك التفسير غائباً عن ابن يعيش ، بيد أنه كتفى بالإشارة إليه دون توضـــيح أو تفســـير قائلاً " وليس المراد الإخبار بأن إنساناً اتقى الله ، وإنما يقـــوله مـــثلاً الواعظ حاثاً على التقى والعمل الصالح ، ويقدر بعده حرف الشرط ، كما كان يقدر بعد الأمر الصريح " . .[١]

وقد ورد عند السيوطى إمكانية " أن يعطف بفاء السببية جملة ذات ضمير علـــى جملة حالية منه أو بالعكس نحو (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة) .[٢] وقول الشاعر :

وإنسانُ عينى يحْسُر الماَء تارةً فَيبـــدُو وتَاراتٍ يَجـــم فيَغْـــرَق .[٣]

ولعـــل لمصـــطلحى العطف والسببية هنا دلالتهما الخاصة التى تدخل فى إطار المفهوم الشرطى ، حيث يقع الجواب تالياً للشرط ، والجواب إنما وقع بسبب مـــن الشرط . ولمَّا لم تأت الشواهد المذكورة على النمط الشرطى المعروف ، فقد جـــاءت الفاء – كما ذكر ابن هشام – مؤذنة بالشرط ، ودالة على أن هذا التركيب مشابه للشرط ، فأعطيت للفاء وظيفة الربط القائم على العطف والسببية أو التعليق. وهذا من دعائم التركيب الشرطى الأصلى .

فمفهوم الآية الأولى – والله أعلم – (إذا أنزل الله من السماء ماءً أصبحت الأرض مخضـــرة) فاخضرار الأرض معلق على نزول الماء من السماء – وهو بسبب لها ، وتحدث الخضرة تالية لنزول المطر ، يحدث ذلك كله بصورة متكررة.

أما بيت الشاعار المذكور آنفاً ، فتقدير الكلام فيه (إن يحسرْ الماء يبدوُ ، وإن يحجمْ يغرقْ) فالظهور متعلق أو بسبب انحسار الماء ، والغرق يتعلق بغزارة

---

(١) ابن يعيش – شرح المفصل ٤٩/٧ .

راجع أيضاً : السيوطى – الأشباه والنظائر ١٦٥/١ .

(٢) سورة الحج آية (٦٣) .

(٣) السيوطى – الأشباه والنظائر ٦٣/٢ ، ٦٤ .

المـــاء ، ولا شك أن الظهور يكون تالياً لإنحسار الماء ، وكذلك الغرق تالياً لغزارة الماء . وجاء استخدام الشاعر للظروف (تارة وتارات) دالاً على تكرار الحدث ، وعدم القطع بواحد منهما دون الآخر .

أمـــا كون هذه التراكيب لم تأت على النمط الشرطى الأصلى ، سواء من جهـــة جزم الفعل أو استخدام الأداة ، وغير ذلك فقد وضحه السيوطى بما ذكره من أن " المتضمن معنى الشئ لا يلزم أن يجرى مجراه فى كل شئ " . (١)

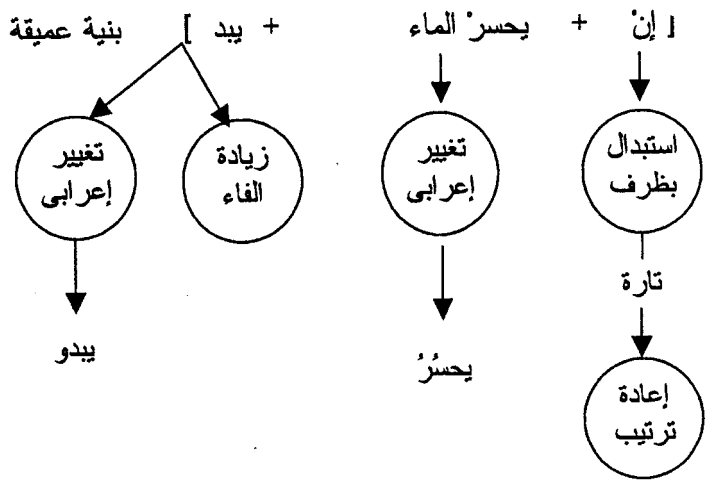

[يجسرُ الماءَ + تارة + فـــ + يبدو] (بنية سطحية)

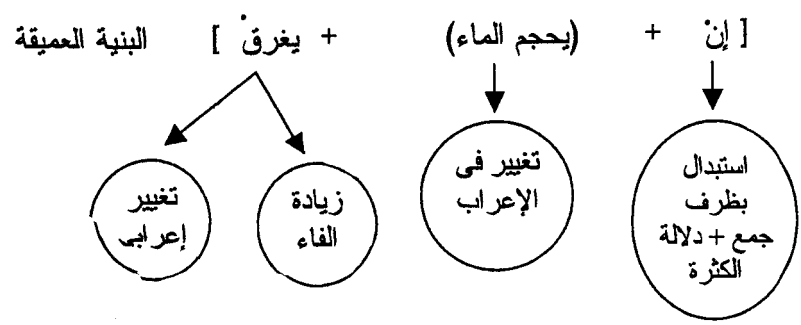

[تارات + يحجمُ + فـــ + يغرقُ] (البنية السطحية)

---

(١) المرجع السابق ١/١٣٨ .

وفـــى ضـــوء التناول الأسبق لآراء بعض النحاة فى التراكيب ذات الدلالة الشرطية نستطيع أن نخلص إلى ما يأتى :

أولاً : جـــاءت معالجـــة الـــنحاة العرب لبعض التراكيب ذات الدلالة الشرطية فى مـــواطن مـــتعددة ، ولـــم يجمعـــوها تحت باب أو موضوع واحد ، فجاءت دراســـتهم لهـــا فـــى المبتدأ والخبر ، وفى دلالة حرف الفاء ووظيفته ، وفى أجوبة الستة ، وتحت بعض موضوعات أصول النحو .

ثانـــياً : عـــوّل النحاة فى حكمهم على بعض التراكيب بأن لها دلالة شرطية على القصـــد أو الإرادة أو المعنى ، حيث يتحقق مفهوم التعليق أو السببية ، وربط الجـــواب بالشـــرط دلالة ولفظاً ، ولم يعوّلوا على استخدام الأداة أو الجزم أو صيغة معينة للفعل .

ثالـــثاً : تعـــددت أنمـــاط التراكيب ذات الدلالة الشرطية عند النحاة ؛ لإيمانهم بأن المتضمن معنى شئ لا يلزم أن يجرى مجراه فى كل شئ .

رابعـــاً : كان لبعض نحاة العربية من الآراء الثاقبة ، وبُعْد النظر فى مسألة أصول بعـــض التـــراكيب ، مـــا ألهـــم علماء اللغة المحدثين بما يعرف بالنظرية التحويلية. التى وضحوها وبينوا قواعدها وقوانينها .

خامســاً : أشـــار بعـــض النحاة إلى أن تحويل التركيب ذات الدلالة الشرطية عن التركيب الأصلى يأتى لأغراض نحوية وبلاغية ، بيّنوا بعضها .

سادساً : أشار النحاة إلى القيمة الوظيفية للفاء فى التراكيب ذات الدلالة الشرطية .

ومـــن المفـــيد هـــنا ذكر الأنماط التى وردت عليها التراكيب ذات الدلالة الشرطية فى كتب النحاة العرب ، لنقارنها لاحقاً بما ورد فى شعر المتنبى لنقف على مدى الاتفاق أو الاختلاف بينهما ، ومعرفة أى هذه الأنماط أكثر دوراناً واستخداماً .

النمط الأول :

[فعل مضارع مرفوع + مكملات + فـ + فعل مضارع منصوب]

- لنا هضبة طلا يدخل الذُّلُ وسطَها ويأوى إليها المُستجيرُ فيُعصما[١]
- سأترُك مَنزلـــى لبَنِـــى تميـــم وألحقُ بالحجـــاز فأستريحـــا [٢]

النمط الثانى :

[فعل ماض + مكملات + فعل مضارع مجزوم]

- أتيتنا أمسُ نعطك اليوم . [٣]
- اتقى الله امرؤٌ وفعل خيراً يثبْ عليه. [٤]

النمط الثالث :

[فعل مضارع مرفوع + مكملات + فـ + مضارع مرفوع]

- الشعْرُ صعبٌ وطويلٌ سُلَّمُـــه إذا ارتَقَى فيه الَّذى لا يعلمُـــه
- زلَّت به إلى الحضيض قدمُه يُريدُ أَنْ يَعْرِبَه فَيُعْجِمُـــه. [٥]

النمط الرابع :

[فعل ماض + مكملات + فـ + مضارع منصوب]

- حسبتُه شتمنى فأثبت عليه . [٦]

---

(١) الخليل بن أحمد : الجمل فى النحو ، ص٣١٣ .

(٢) ابن السراج : الأصول – ١٨١/٢ .

(٣) سيبويه : الكتاب – ٩٤/٣ .

(٤) المـــرجع السابق ١٠٠/٣ ، وانظر ابن يعيش – شرح المفصل ٤٩/٧ ، وانظر أيضاً ابن السراج – الأصول فى النحو ١٧٩/٢ .

(٥) ابن هشام : مغنى اللبيب ١٨٢/١ والتقدير (إن يعربْه يعجمْه) .

(٦) ابن جنى : سر صناعة الإعراب ٢٥٦/١ .

النمط الخامس :

التركيب جملة اسمية

[مبتدأ + مكملاته + فـ + خبر جملة سمية] (١)

- " الذى يأتينى فله درهمان " (٢)
- "والَّذين يُنفِقُون أَمْوَالَهُم باللَّيْلِ والنَّهَارِ ، سِرًّا وعَلاَنيةً فلَهُم أَجْرُهم عِنْد رَبِّهِم". (٣)
- " كلُّ رَجُلٍ يأتينا فلَه درْهَمانَ " . (٤)

النمط السادس :

جملة اسمية منسوخة بحرف

حرف ناسخ + (المبتدأ) + (الخبر)

[إن + اسم الناسخ + مكملات + فـ + جملة اسمية] (٥)

- " قل إنَّ الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم " (٦)
- " إن الـذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق " البروج (١٠) . (٧)

---

(١) الملاحظ أن الجملة الاسمية فى الخبر فيها نوع من التوكيد متمثل فى التقديم والتأخير.

(٢) سـيبويه : الكـتاب ١٠٢/٣ ابـن السراج – الأصول فى النحو ٢٧٢/٢/ الإيضاح العضدى ، ٩٦ ، ابن جنى – سر صناعة الإعراب ٢٥٨/٢ .

(٣) البقرة / ٢٧٤ ، سيبويه ١٠٢/٣ .

(٤) المـرجع السـابق نفسـه / ابـن السراج٢٧٢/٢ ، ابن جنى ٢٥٨/١ ، الإيضاح العضدى٩٦.

(٥) الملاحـظ أيضاً هنا أن الخبر فيه توكيد ، إما باستخدام حرف الناسخ (إنَّ) أو بالتقديم والتأخير.

(٦) سورة الجمعة /١٨ ، سيبويه ١٠٣/٣ .

(٧) المرجع السابق نفسه .

النمط السابع :

[ما (تعمل عمل ليس) + معموليها + فـ + فعل مضارع منصوب]

- ما أنت بصاحبى فأكرمَك . (١)

ثانياً : التحليل النحوى الدلالى لأنماط من هذه التراكيب وردت فى ديوان المتنبى :

نحـــاول فى هذا القسم من الدراسة إلقاء الضوء على بعض التراكيب ذات الدلالـــة الشـــرطية ، التـــى وردت فـــى ديوان المتنبى . واعتمدنا فى تحديد هذه التـــراكيب علـــى المعـــيار الدلالى ، المتمثل فى مفهوم التعليق الشرطى . ويتحقق مفهوم التعليق الشرطى – فى ظننا – إذا ما توافر فيها :

- وجود جملتين ترتبطان معاً بعلاقة .
- هذه العلاقة قد تكون سببية ، أو استلزامية ، أو ترتيب حدوث فعل على حدوث فعل آخر ، أو نتيجة له .

وهذا هو المفهوم الشامل والواسع للعلاقة الشرطية ، ففى الجملة الشرطية " إن تعتصـــمْ بـــالله تفُـــزْ " ، نجد فيها الفوز بسبب الاعتصام بالله ، والفوز يستلزم الاعتصـــام بـــالله ، والفوز نتيجة مترتبة على الاعتصام بالله . فقد تحقق فى الجملة الشرطية السابقة أنواع العلاقات التى نجدها فى التراكيب الدالة على الشرط .

ولا نعـــتمد فـــى تحديد هذه التراكيب على صورة التركيب الشرطى التى ذكـــرها النحاة بصدد دراستهم للجمل الشرطية ، مثل وجود أداة الشرط ، أو علامة إعـــرابية خاصـــة ، أو صيغ فعلية محددة. حيث لاحظنا أنها قد تحررت من القيود الشـــكلية للجملة الشرطية ، واعتصمت بشيء واحد ، هو تحقيق المفهوم الشرطى بـــين الجملتـــين داخل التركيب ، بيد أننا لاحظنا أن معظم التراكيب تكاد تتفق من

---

(١) تقديـــر الشرط هنا قائم على المفهوم العكسى للتركيب أى (إن تكن صاحبى أكرمَك). ابن جنى – سر صناعة الإعراب ١/٢٧٤ .

جهة الشكل فى بعض الأمور.

- وجـــود الفـــاء باعتـــبارها رابطة بين الجملتين ، ودالة على العلاقة الشرطية بينهما.
- إذا ما وجدت لمة دالة على الأداة الشرطية ، التراكيب ذات الشرطية ، فإننا لا نجد فيها الفاء.
- إذا جـــاءت التـــراكيب ذات الدلالة الشرطية فى صورة مستثنى منفى ، فإننا لا نجد الفاء أو ما يدل على أداة الشرط.

ونلاحظ فى هذه التراكيب وجود الفاء المقترنة بجواب الشرط ، وهذه الفاء ليســـت من قبيل الفاء التى تقترن بجواب الشرط ، لربط الجواب بالشرط ، حيث لا يـــوجد فى جواب الشرط ما يبرر اقترانه بها ، ولكنها كما قال ابن هشام – مؤذنة بالشـــرط ، أو دالـــة علـــى العلاقة الشرطية بين الجملتين فعلاقتها بالأداة الشرطية علاقـــة تبادلـــية ، فـــإذا وجدت أداة الشرط اختفت الفاء ، وإذا حذفت أداة الشرط ظهـــرت الفـــاء ، وقـــد ورد فى شعر المتنبى ما يؤكد هذه العلاقة التبادلية كما فى قوله:

لَمَّـــا سَـــمِعْتُ بِـــهِ سَـــمِعْتُ بِـــوَاحِـــدٍ ورَأَيْـــتُهُ فَـــرَأَيْتُ مِنْهُ حَمِيساً[1]

ففى الشطر الأول ذُكرت أداة الشرط ، ولم تظهر الفاء الدالة على الشرط، وعندما حذفت الأداة فى الشطر الثانى ظهرت الفاء الدالة على العلاقة الشرطية.

كـــذلك إذا وجدت فى التراكيب ذات الدلالة الشخصية ما يدل على الأداة ، فإننا لا نجد الفاء فى جواب الشرط ، كما فى قول المتنبى:

كَـــأَنَّ الحُـــزْنَ مَشْـــغُوفُ بِقَلْبِـــى فَسَـــاعَةَ هَجْـــرِها يجِـــدُ الوِصَـــالا[2]

فالظـــرف (ساعة) أدى دور الشرط ، فيما يتصل بالتعليق الزمنى ، وتقدير الشرط (كلما هجرتها وصل الحزن قلبى).

---

(١) ١٩٩/٢.

(٢) ٢٢٤/٣.

كـــذلك إذا جاء التركيب ذات الدلالة الشرطية فى صورة تدل على التعليق الشرطى ، كاستخدام الاستثناء المنفى ، كما فى قول المتنبى:

ولا ذكـــرت جمـــيلاً مـــن صـــنائعها إلا بكـــيت ولا ودُّ بـــلا ســـبب[1]

وتقدير الشرط (كلَّما ذكرت جميلا ... بكيتُ) ، فقد أدَّى مفهوم القصر فى الاستثناء المنفى ، مفهوم التعليق الشرطى بالأداة ، كما فى التقدير السابق . ومن ثم يتبين لنا حقيقة العلاقة التبادلية بين الأداة الشرطية والفاء المؤذنة بالعلاقة الشرطية التى توجد فى جواب الشرط ، كما فى هذا النمط ، والأنماط الأخرى فى التراكيب ذات الدلالة الشرطية.

أمـــا أنماط هذه التراكيب فقد تعددت وتنوعت ، ومع تعددها وتنوعها فإنها كمـــا ذكـــرت آنفاً – تتفق فى احتوائها على المضمون الشرطى. ومن صور هذه الأنماط:

- جملة فعلية ← جملة فعلية
- جملة فعلية ← جملة اسمية
- جملة اسمية ← جملة فعلية
- ظرف مضاف إلى مصدر ← جملة فعلية
- جملة استثناء من نوع الناقص المنفى

وبمقارنة الأنماط التى وردت عند النحاة العرب بالأنماط التى وردت عند المتنبى وجدنا الآتى:

- تنوع الأنماط وزيادتها عند المتنبى أكثر منها عند النحاة العرب ؛ ولعل يرجع إلـــى اتساع موضوعات الكلام عند المتنبى ، بخلاف طبيعة عمل النحاة العرب الـــذين يركزون على التقعيد وضبط القاعدة النحوية ، والاستشهاد عليها ، الذى

---

(١) ١/٩٢.

قد يضطرهم أحياناً إلى اصطناع بعض الأمثلة والشواهد. [١]

- بعض الأنماط التى ذكرها النحاة العرب لم ترد عند المتنبى نحو:

- الاسم الموصول + جملة الصلة ←فـ + جملة اسمية. (الذى يأتيني فله درهمان) .
- النكرة المعرفة بالإضافة + جملة حال ←فـ + جملة اسمية. (كل رجل يأتينا فله درهمان).

وأظن أن مثل هذين المنطقين لا يتفقان وطبيعة الشعر ، فهما المواقف اللحظية أقرب منها إلى الموضوعات الشعرية.

- قد تتطلب طبيعة الشعر وقوانينه تغييرا فى بعض الأنماط ، مثل التقديم والتأخير ، والزيادة والحذف. ومنهجنا فى تحليل التراكيب ذات الدلالة الشرطية الواردة فى ديوان المتنبى يتلخص فيما يلى:

أ- بيان النمط الخاص بكل تركيب ونسبة شيوعه ، وتفسير ذلك إن وجدنا ذلك سبيلاً.

ب- بيان النية العميقة لهذا النمط ، بغرض توضيح المضمون الشرطى ، وكيف تحول التركيب الشرطى الأساسى إلى البنية السطحية ، التى جاءت فى صورة مختلفة عن التركيب الشرطى المعروف.

جـ- ذكر التحويلات التى تمت فى البنية العميقة.

د- تفسير هذه التحويلات تفسيرا دلالياً ، معتمدا على السياق الدلالى واللغوى.

هـ- بيان أن البنية السطحية التى انتهى إليها التركيب ربما كانت الأنسب والأوفق إلى غرض الشاعر وقصده.

---

[١] عدد الأنماط عند المتنبى حوالى ثلاثة عشر نمطا ، على حين كان عدد الأنماط عند النحاة العرب حوالى سبعة أنماط.

النمط الأول :

[فعل ماض + فـ + فعل ماض]

نلاحظ أن هذا النمط اكثر أنماط التراكيب ذات الدلالة الشرطية شيوعا ، إذا بلغت نسبته بالمقارنة بالأنماط الأخرى لهذه التراكيب حوالى ٧٠% ربما لأنه أكثر الأنماط استجابة لحاجات المتنبى ، ومناسبةً لأغراض شعره. ففى استخدام صيغة الماضى فى فعلى الشرط والجواب دلالة على تحقيق حدوث الفعل ، أو لأنها - وفقاً لدلالة السياق - دالة على عموم الزمن ، وهذه المعانى نجدها تتفق وأغراض المدح والوصف والغزل أحيانا ، كما سيتضح فى الأمثلة التى سنأتى بها.

ومن أمثلة هذا النمط قول المتنبى واصفا داء الحُمّى الذى ألمَّ به ، وحلَّ بلحمه وعظمه.

بَذَلْتُ لَهَا المَطَارِفَ والحَشَايَا فَعافَتُها وبَاتَتْ فِى عِظَامِى [1]

نستطيع القول إن هذا التركيب الذى فيه دلالة الشرط محول عن البنية الشرطية العميقة (إنْ أبذل لها ... تعافها...) وقد مرَّ هذا التركيب بمراحل تعرض فيها للحذف والإضافة والاستبدال ليناسب قصد المتنبى وبيانها كالتالى:

- البنية العميقة (إنْ أبذل لها ... تعافها) ، وفيها معنى الشك والاحتمال ، وعدم القطع بوقوع الحدث ، وهذا - بلا شك - لا يناسب مع قصد المتنبى.
- ومن ثم تم تحويلُ فى صورة البنية العميقة لتلبية حاجة المعنى فاستبدلت الأداة (إذا) الدالة على القطع بوقوع الحذف ، ونفى الاحتمال أو الشك فى وقوعه بأداة الشرط (إنْ). كما استبدلت صيغة الماضى فى جملتى الشرط والجواب بصيغة المضارع. وهذا يناسب المعنى الذى تصاعد فيه المرض ، واشتد على المتنبى ، فبذل له المتنبى بعض أعضاء جسمه محافظة على بعضها الآخر. ولكن المرض رفض ذلك بشدة وظهر ذلك فى استخدامه صيغة الماضى.
- ومع تصاعد المرض ، يتصاعد البذل ، فيتصاعد الرفض. ومن ثم تأتى

---

(١) ٤/١٤٦.

الصـــورة الثالـــثة ، التى تمثل المرحلة الأخيرة ، أو البنية السطحية ، حيث تم فـــيها حذف أداة الشرط ، وعوض عنها بالفاء التى لحقت بالجواب. (بذلت لها المطارف ... فعافتها) .

ويمكن توضيح المراحل الثلاثة بالرسم التالى:

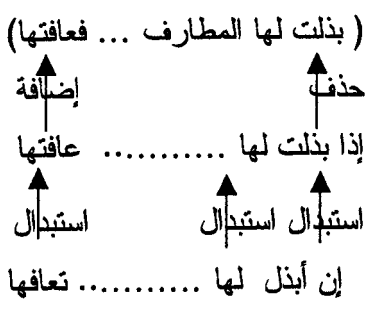

وفى مثال آخر يقول المتنبى واصفا حال محبوبته ، وحاله لحظة اللقاء والرؤية:

مـــا بَالُـــهَ لاَحَظْـــتُهُ فَتَضَـــرَّجَتْ وَجَـــنَاتُهُ وفُـــؤَادِىَ المَجْـــرُوحُ [1]

إن مـــا يحـــدث لخدى المحبوبة من إحمرار ، وما يحدث لقلب المحب من إحـــياء جرح الحب متعلق بالرؤية والملاحظة المتبادلة بين المحب والمحبوب ، مع تكـــرار حدوث ذلك فى كل مرة تقع فيه الملاحظة والرؤية – بدليل قوله (ما باله) الدالـــة على العادة المتكررة . إن هذا التركيب السطحى الدال على الشرط وليد بنية شرطية عميقة تحول عنها باستبدال وحذف وإضافة لكى يفى بغرض الشاعر ، وقد مرَّ بأربع مراحل بيانها كالتالى:

المرحلة الأولى:

تمثل البنية العميقة للتركيب الشرطى الأساسى ، وهى (إن ألاحظه تتضرج وجـــناته وفـــؤادى..) بـــيد أن هـــذا التـــركيب المكون من (إنْ) الدالة على الشك والاحـــتمال، والمضارع الذى يأخذ الدلالة نفسها عن ريق علاقته بأداة الشرط (إنْ) لا يفـــى بغـــرض المتنبى. فالذى يحدث من المحبوبة والمحب عند الرؤيا ليس فيه

---

[1] ديوان المتنبى جـــ١/ ٢٤٥.

احتمال أو شك. ومن ثم يتطلب التركيب تعديلا ليفى بمطلب الشاعر.

المرحلة الثانية:

وفيها يتم استبدال أداة الشرط (إذا) الدالة على القطع وعدم الشك ، بأداة الشرط (إنْ) ، وكذلك استبدال الفعل الماضى بالفعل المضارع ليتوافق مع دلالة (إذا) فتكون صورة التركيب الجديد (إذا لاحظته تضرجت وجناته وفؤادى ...) ومعنى ذلك أن الحدث وما يتعلق به من رد فعل يحدث بلا شك إذا وقع فى المستقبل. ويبدو أن المعنى مع تصاعده الدلالى ، فإنه مازال لا يفى بغرض المتنبى الذى يرمى إلى أن هذا إلى يحدثه لا يحدث مرة واحدة ولكنه يتكرر ، ومن ثم كان التركيب فى حاجة إلى تغيير ليعبر عن التكرار.

المرحلة الثالثة:

وفيها يتم استبدال أداة الشرط (كلَّما) الدالة على التكرار والعادة بأداة الشرط (إذا) ليصبح التركيب (كلَّما لاحظته تضرحت وجناته وقلبى...) ويظل التصاعد الدلالى فى ارتفاع مع التركيب حتى يصل إلى المرحلة الأخيرة.

المرحلة الرابعة:

وفيها يتم حذف أداة الشرط والتعويض عنها بالفاء فى الجواب لبيان علاقة التعليق بين حدث الرؤيا وما ينتج عنه ، وينتقل المعنى لذلك من التكرار إلى الطبع والعادة مع الإتيان فى السياق بما يدل على ذلك ، فجاء التركيب السطحى فى الصورة التى أتى بها فى بيت المتنبى.

مـا بالـه لاحظـته فتضـرجت وجـناتُه وفـؤادى المجـروح

ويمكن توضيح ما حدث بالرسم التالى:

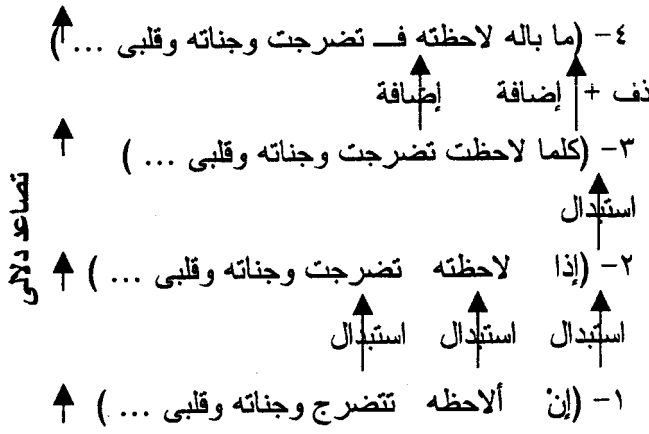

وفى نموذج آخر لهذا النمط يقول المتنبى:

وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ سَاعَةً رأىَ سَيْفَهُ فِى كَفِّهِ فَتَشَهَّدَا (١)

إن التركيب ذات الدلالة الشرطية فى الشطر الثانى من البيت السابق يفُهم منه علاقة التعليق الشرطى بين شهادة التوحيد ورؤية سيف الممدوح. وهذه العلاقة تكشف حقيقة المعنى الذى يقصده المتنبى ، وهو مدح الممدوح بعدائه لأعداء الله ، وغضبه لله ، فى الحق ، وحرصه على رد الضال إلى طريق الصواب ، وخشية أعداء الله منه. وهذه الصفة ملازمة للمدوح ، غير محدودة بوقت محدد ولا مكان معين.

والتركيب بهذا المفهوم محمول عن التركيب الشرطى الأساسى الذى يمثل البنية العميقة له ، وهى إن سيفه ... يتشهد ، غير أن هذا التركيب الشرطى الذى فيه معنى الاحتمال والشك لا يتناسب مع طبيعة المدح التى تتطلب التحقيق والقطع، واستمرار الصفة فى الممدوح ؛ لذا لابد أن يحدث تعديل فى التركيب السابق.

وهنا تأتى المرحلة الثانية حيث تستبدل (أداة الشرط "إذا") الدالة على القطع والتحقيق ، بأداة الشرط (إنْ) ، كما تستبدل صيغة الفعل الماضى المناسبة فى دلالتها لدلالة الأداة الشرطية الجديدة بصيغة الفعل المضارع ، فيكون التركيب (إذا رأىَ سَيْفَهُ... تشَّد).

---

(١) ١/ ٢٨١ .

ولكـــن يبدو أن المعنى الذى يصبو إليه المتنبى بعيد ، يتجاوز أداة الشرط الدالـــة علـــى القطع والتحقيق فى المستقبل ، ويتجاوز عدو الله لرؤية سيف الدولة حتـــى يسلم ويستقيم حاله. ويتجاوز البطء إلى السرعة ، والانتظار إلى المفاجئة ، فكان لابد من إجراء تحويل آخر ليناسب المعنى الذى يربو إليه الشاعر.

فتأتي المرحلة الأخيرة ، حيث حذفت أداة الشرط ، وأضيفت الفاء للجواب للإبقـــاء علـــى العلاقـــة الشـــرطية بين فعلى التركيب ... ولبيان عنصر المفاجئة والســـرعة ، فجـــاءت التركيب على الصورة التى أتى بها المتنبى فى بيته السابق (رأى سيفه فى كتفه فتشهدا).

ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالى:

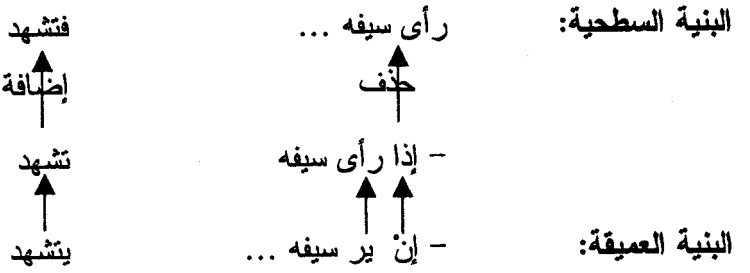

ونختم نماذج هذا النمط بنموذج يكشف لنا مغزى جديداً لاستخدام التراكيب ذات الدلالة الشرطية عند المتنبي، وهو مغزى السرعة والإيجاز يقول المتنبي :

ناعَيْـــتُهُ فَـــدنَا ، أَدْنَيْـــتُهُ فَـــنَأى جَشَّـــمْتُهُ فَنَـــبا ، قَبَّلْـــتُهُ فَأبَـــىَ [1]

هذا البيت يوضح أربعة أحوال للمتنبي مع محبوبته، يمثل مجموعها إقبال المحب وتَمنُّع المحبوبة ودلالتها. يحدث ذلك كله فى سرعة وإيجاز يعجز عن أدائها التـــركيب الشرطي المألوف ، الذي نلمس فيه البطء والتراخي الزمني .وربما كان هذا دافعاً للمتنبي للعدول عنه إلي هذا النمط من التركيب .

إن التراكيب الأربعة المذكورة في البيت السابق تتشابه في بنيتها العميقة ، وفيما حدث لها من إستبدال وحذف وإضافة ، حتي استوت في بنيتها السطحية علي

---

[1] ديوان المتنبي جـــ١/١١٠ .

الصورة التي ذكرها المتنبي في بيته السابق .

ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي :

بنية سطحية :

٣- ناعيته فـ دنا ، أدنته فـ نأى جشَّمته فـ نبا ، قبّلته فـ أبي [١]

حذف إضافة حذف إضافة حذف إضافة حذف إضافة

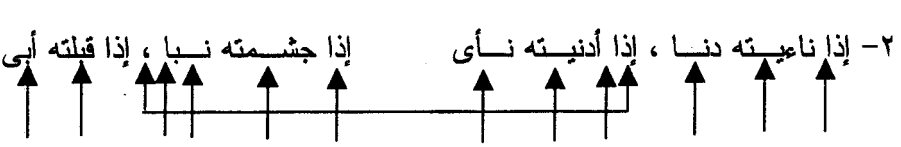

٢- إذا ناعيته دنا ، إذا أدنيته نأى إذا جشمته نبا ، إذا قبلته أبى

بنية عميقة :

١- إن أنئه يدن ، إنْ أُدنه ينأ إن أُجشِمْه ينبُ ، إن أقبلْه يأب

إن ما حدث في هذه التراكيب ذات الدلالة الشرطية من حذف وإستدال وزيادة ، ما هو إلا استجابة للمعني الذي يقصده المتنبي . وهذا يؤكد أن التركيب والمعني يعضد كل منهما الآخر ويقويه ، ولا يفسر أحدهما بمعزل عن الآخر [٢]

النمط الثاني :

[فعل مضارع مرفوع + فـ + فعل مضارع مرفوع]

ونسبة استخدام هذا النمط في ديوان المتنبي حوالي ثمانية بالمائة ، ونلاحظ في هذا النمط إلى جانب معني التعليق القائم بين الجملتين ، وإلي جانب الفاء المؤذنة بهذه العلاقة ، والمعوض بها عن أداة الشرط ، إلي جانب ذلك نجد معني بيان الحال، والصفة الملازمة للممدوح أو الموصوف.

والفرق الدلالي بين هذا النمط والنمط السابق ، أننا لمسنا فى النمط السابق تصعيدا متكررا فى الدلالة فى اكثر من مرحلة. فقد تصاعدت الدلالة – كما

---

(١) ديوان المتنبي جـ١/١١٠.

(٢) لمزيد من الأمثلة راجع الديوان ١٤/٤ ، ١٩٩/٢ ، ٢٩٤/٤ ، ٩٣/٢ ، ٣٣٣/٢ ، ١/ ٣٢٥ .

رأينا – من الافتراض أو الاحتمال إلى التحقيق والقطع بوقوع الحدث فى المستقبل، إلـى التكـرار أحيانا ، ثم أخيرا القطع بوقوع الحدث بما لا يدع مجالا للشك دون تحديـد لـزمان ، حيث بات الأمر بما يشبه الطبع أو العادة. أما فى هذا النمط فإننا نجـد درجة أقل من التصعيد حيث يكتفى بالانتقال والتحويل الدلالى من الافتراض إلـى بـيان الحال ، وتكرار حدوث الصفة بتكرار الواقعة التى تتطلبها. ومن أمثلة ذلك قول المتنبى:

كَـيْفَ يَـتِمُّ بَأْسُـكَ فـى أُنَـاسٍ تُصِـيبُهُمُ فَـيُؤْلِمُكَ المُصَـابُ

يصف المتنبى الممدوح هنا بالرحمة والإنسانية حتى مع من يقاتلهم فإنه إن تمكـن منهم ، وحلّ بهم بأسه فإنه يتألم لذلك . فالتركيب (تصيبهم فيؤلمك ...) فيه دلالة التعليق بين الألم أو الإصابة وهو محوّل عن التركيب الشرطى الأساسى (إنْ تصـيبهم يـؤلمك المصـاب) ، بـيد أنّ دلالة هذا التركيب الدال على الافتراض والاحـتمال لـيس من قبيل المدح الذى يرمى إليه المتنبى ، ومن ثم يتطلب الأمر تعديلا فى التركيب ليتناسب مع ما يقصده المتنبى.

وهـنا تأتى المرحلة الثانية ، حيث يتم حذف أداة الشرط (إنْ) والاستعاضة عـنها بالفـاء المقترنة بالجواب والمؤذنة بالشرط ، فتأتى البنية السطحية للتركيب علـى الصـورة التى ذكرها المتنبى ، والتى تفيد دلالة الصفة على الحال والإقرار والتكرار.

ويمكن توضيح ما حدث من تحويل فى الرسم التالى:

البنية السطحية: ٢– تصيبهم فـ يؤلمك المصاب

حذف | إضافة | تغيير إعرابى

البنية العميقة: ١– إنْ تصيبهم يؤلمك المصاب

وفى نموذج آخر لهذا النمط يكشف عن طبيعة الدلالية له ، من بيان الحالة الواقعية ، والتكرار المعبر عن الصفة اللازمة للشيء ، والطبع الخاص به ، بما لا يدع مجالا للشك والاحتمال.

يقول المتنبى واصفا فرسه ، وعلاقة الانسجام واللغة المشتركة بينهما :

شَـقَقْتُ بِـهِ الظَّلْمَـاءَ أُذْنَـى عِنَانَهُ فَيَطْغَى وأُرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ [١].

ففـى هذا البيت تركيبان ، يحمل كل منهما دلالة التعليق الشرطى ، وكل واحـد مـنهما محول عن بنية شرطية عميقة. فالأول محول عن (إنْ ، أدن عنانة يطغ) . والثانى محول عن (إنْ أرخه يلعبْ) .

والتـركيب ببنيـته العميقة التى وضحناها ، لا يتناسب مع الوصف الذى أراده المتنبـى لفرسـه ؛ لأن فيه معنى الشك وعدم القطع فى الحدث ، وبالتالى لا يكـون ذلـك مـن قبيل الوصف الحسن الذى يتطلب ملازمة الصفة للموصوف ، واقترانها به فى كل الأحوال.

ومـن ثم تطلب الموقف تحويلا وتغييرا فى التركيب العميق ، لكى يتناسب وينسـجم مـع المعنى الذى يقتضيه مقام الوصف الحسن للفرس ، ومهارة قائدة . فحـذفت فى التركيب الأول أداة الشرط (إنْ) على الشك والاحتمال ، وتغير بالتالى الوضـع الإعرابى اللازم لاقتران فعلى الشرط بهذه الأداة المحذوفة ، فباتت البنية السـطحية كما ذكرها المتنبى (أدنى عنانة فيطغى) فتغيرت الدلالة إلى بيان الحالة القائمة للفرس ، والصفة المتكررة فيه واللازمة له ، والنافية للشك والاحتمال.

وكـذلك الشأن فى التركيب الثانى ، الذى بات بعد التحويل. (أرخية مرراً فـيلعب) حـيث حـذفت أداة الشرط (إنْ) ، وما يتعلق بها من الناحية الإعرابية ، وعـوض عنها بالفاء المؤذنة بالشرط ، بالإضافة إلى زيادة كلمة (مراراً) التى أتت لتقوى معنى التكرار وملازمة الصفة للموصوف ، وأنها طبع فيه[٢] .

ويمكن بيان ما حدث من تحويل فى الرسم التالى:

---

[١] ١٧٩/١.

[٢] راجع نماذج أخرى فى الديوان ٢٢٣/٤ ، ١/ ١٠٦ ، ٢/ ٢٦٩ .

بنية سطحية: - أدنى عنانه فـ يطغى

بنية عميقة: - إنْ أدن عنانه يطغ

بنية سطحية: - أرخيه مراراً فـ يلعبُ

بنية عميقة: - إنْ أرخه يلعبْ

النمط الثالث :

[فعل (يحل محل الأداة) + جملة الشرط (فعلية) + جملة الجواب (فعلية)]

ونسبة تكرار هذا النمط حوالى خمسة بالمائة من عدد التراكيب ذات الدلالة الشرطية. ويختلف هذا النمط عن النمطين قبله ، حيث يتضمن فعلاً فيه دلالة الأداة الشرطية (إنْ) الدالة على عدم القطع بالحديث وعلى الاحتمال. بالإضافة إلى دلالته على الزمن المستقبل. وليس لهذه الأفعال أى عمل نحوى ، باستثناء الربط بين جملتين بينهما تعليق شرطى. وتتنوع صيغة هذه الأفعال بين الأمر والمضارع والماضى. وليس لهذه الصيغ نصيب من دلالتها الزمنية ، فكلها - كما أشرنا سابقا - تدل على المستقبل ولهذا النمط صورتان:

أ- فعل أمر (حلَّ محل الأداة) + فعل ماض + جملة استفهامية

وَهبنِـي قُلْـتُ هَـذَا الصُّـبْحُ لَـيْلٌ أَيَعْمَـى العَالِمُونَ عَنِ الضيّاءِ؟ (١)

والبنية العميقة لهذا التركيب (إنْ أقل) ... ينكر ذلك العالمون). والفرق بين دلالة (إنْ) والفعل (هبنى) هو أن (إنْ) تاخذ معنى الافتراض أو الاحتمال من اقترانها بالجملة التالية لها ، أما (هبنى) فهى تتضمن هذا المعنى فى نفسها ، دون اقترانها بجملة تالية لها. وثمة فرق آخر ، وهو أنه قد ياتى بعد (إنْ) فعل مضارع

---

(١) ١٠/١ ، وراجع أيضاً ١٠٦/٤.

أو ماضى بدلالة المستقبل ، أما الفعل (هبنى) فتأتى بعده صيغة الماضى الدالة على الزمن الماضى المجازى لأغراض بلاغية كأن تكون الفكرة أو التصور أقرب إلى الواقع ، ومن ثم تكون اكثر إقناعا للمتلقى.

والمعنـــى : على افتراض صحة قول أن (الصبح ليل) ، وهو اعتقاد قلة ، فـــلا يمكـــن أن يقتنع بذلك العالمون ، لأن الضياء لا ينكره إلا فاقد البصر ، وليس كـــل الـــناس كـــذلك ، كما أن استخدام الفعل (هبنى) فيه من الدلالة على استخدام المنطق والحجة فى المجادلة وبتأمل جواب الشرط فى البنية العميقة لهذا التركيب ، نجـــده يختلف فى صياغته عن البنية السطحية التى ذكرها المتنبى ، ويترتب على ذلـــك اخـــتلاف الايحاءات الدلالية . ففى التركيب العميق نجد دلالة التقرير ، على حين نجد فى التركيب السطحى دلالة الاستفهام والدهشة والإنكار.

كما نلاحظ أيضا أن جواب الشرط البنية العميقة جواب مباشر ، على حين أن الجـــواب فـــى البنية السطحية جواب غير مباشر ، أو جواب محول ، غالبا ما يلجـــأ إلى هذا النمط من الجواب الكتاب والشعراء لأغراض بلاغية. والغرض من تحـــويل دلالـــة جواب الشرط ممن تقرير فى البنية العميقة إلى الاستفهام فى البنية الســـطحية هو عرض الجواب فى صورة تدعو إلى الإنكار والدهشة والتعجب من إنكـــار الحقائـــق الواضـــحة ، وتصدق ما يخالفها ، وللبرهنة على صحة ما يريد تقريره.

ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالى:

ب- [فعل مضارع (مكان الاداة) + (مصدر مؤول من انْ + فعل مضارع) + فـ + فعل مضارع منصوب]

أخـــافُ أنْ تَطُـــنَ أعْـــدَاؤهُ فَـــيُجفِلُوا خَـــوْفاً إلـــى قُـــرْبِهِ(٢)

والبنـــية العمـــيقة لهـــذا التركيب (إن تفطن) أعداؤه ... يجفلوا ... ويدل اســـتبدال المتنبـــى فـــى البنية السطحية الفعل (أخاف) الدال على الترقب (التردد) وقـــرب إدراك الشـــيء ، بـــأداة الشرط (إنْ) الدالة على الشك وعدم القطع بوقوع

---

(١) نلاحـــظ أن التحويلات التى تمت فى جواب الشرط أكثر من التحويلات التى تمت فى جملـــة الشـــرط للسبب الذى ذكرناه ، وهو كون تحويل الجواب من المباشر إلى غير المباشر لغرض دلالى. وقد تم هذا ألتحويل لخدمة الدلالة المقصودة أو المرادة. وهذا النوع من التحويل يوازيه تصعيد دلالى.

(٢) ١/ ٢١١.

الحـــدث فـــى المســـتقبل ، بالإضافة إلى اتساع الدلالة الزمنية للفعل (أخاف) حيث تشـــمل الحاضـــر أو قرب الحاضر ، كما تشمل المستقبل . كما استبدل المتنبى فى البنـــية الســـطحية المصـــدر المؤول (أن + المضارع) بالفعل المضارع فى البنية العمـــيقة ، حيث يتطلب الفعل (أخاف) مصدرا مؤولا أو صريحا ، واختيار المتنبى للمصـــدر المؤول فيه دلالة استمرارية حالة الترقب عند المتنبى. وتجدد المحاولات التى يحاولها أعداء الممدوح لإدراك حقيقته . ويزيد المتنبى حرف الفاء فى الجواب فـــى البنية السطحية ليفيد حالة الاتباع ، اتباع جواب الشرط لجملة الشرط ، وربطه بها ، وإيذانا للعلاقة الشرطية التى تفصح عنها أداة الشرط المحذوفة [١].

ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالى:

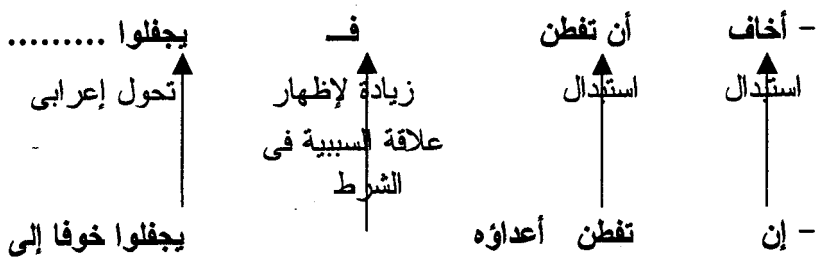

جـ- [فعل ماض (مكان الأداة) + فعل مضارع + فـ + فعل مضارع]

وكَلْمَـــةٍ فـــى طَرِيقٍ خِفْتُ أَغرِبها فَيهْتَدىَ لى فَلمْ أقْدرْ عَلى اللَّحنِ [٢].

---

[١] الفـــاء فى التراكيب ذات الدلالة الشرطية – بوجه عام – تأتى لبيان العلاقة الشرطية خاصـــة ، حـــيث لا توجد الأداة الشرطية ، كما أنها تقوى علاقة الجواب بالشرط . وقد تغلب فى بعض الأحيان علاقة من العلاقات الشرطية على العلاقات الأخرى – كما تتغلب العلاقـــة الســـببية على غيرها ، وهنا يكون للفاء دور بارز واضح. ولبيان هذه العلاقة ، ودور الفاء فيها جعلها النحاة تعمل عملا نحويا مميزاً.

[٢] ٤/ ٢١٢ وهذا البيت مشابه فى تحليله بالبيت السابق.

النمط الرابع :

[جملة اسمية (مبتدأ + خبر (جملة فعلية) + فـ + فعل ماض]

ونسبة تكرار هذا النمط مقارنة بالأنماط الأخرى حوالى أربعة بالمائة ، والرابط الشرطى بين جملتى التركيب رابط معنوى ، أعنى مسألة التعليق الشرطى بين الجملتين. ومن ذلك قول المتنبى:

فَبقَـيَّات طِيـنه لافَـتِ المَـا ءَ فصَـارتْ عُذُوبَـةً فـى الـزُّلالِ (١)

والبنية العميقة لهذا التركيب هى (إن تلق بقيات طينة الماء تعذُب). ودلالة البنية بهذه الصورة لا تتناسب ومقام المدح ، لما فيها من الشك والاحتمال وعدم القطع بالحدث ، ومن ثم كان لابد من تصعيد للمعنى بإجراء عدد من التحويلات فى البنية العميقة حتى تنسجم دلالتها مع غرض المتنبى . فاستبدلت أداة الشرط (إذا) بأداة الشرط (إنْ) ، لما فى الأول من عزم ورغبة فى إتمام الحدث. وتتطلب ذلك استبدال صيغة الفعل الماضى فى جملتى الشرط والجواب بصيغة المضارع ، لينسجم مع دلالة (إذا) ، فبات التركيب إذا لاقت بقيات ... عذب ...).

ويبدو أن أداة الشرط (إذا) بدلالتها على المستقبل شكلت عائقا زمنيا أمام تحقق الحدث ، وبالتالى تحقيق المدح بصورة أسرع وأفضل ، فحذفت أداة الشرط (إذا) وحدث تقديم وتأخير فى جملة الشرط ، فتحولت من الفعلية إلى الاسمية ، ومن ثم تحولت الدلالة من الكلام على إمكان وقوع الحدث إلى الإقرار بوقوعه بما لا يدع مجالا للشك.

وزيد حرف الفاء فى جواب الشرط ، إيذانا بالعلاقة الشرطية بين الجملتين. كما تم تحويل فى جملة الجواب لتتناسب دلالتها مع دلالة جملة الشرط ، فتحولت من جملة فعلية إلى جملة اسمية مسبوقة بفعل ناسخ لاستكمال معنى الحال والواقع الذى آلت إليه الماء.

ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالى:

---

(١) ٣/ ١٩٨ وأنظر أيضا ٣/ ١٩٩ ، ١/ ١٠٩ .

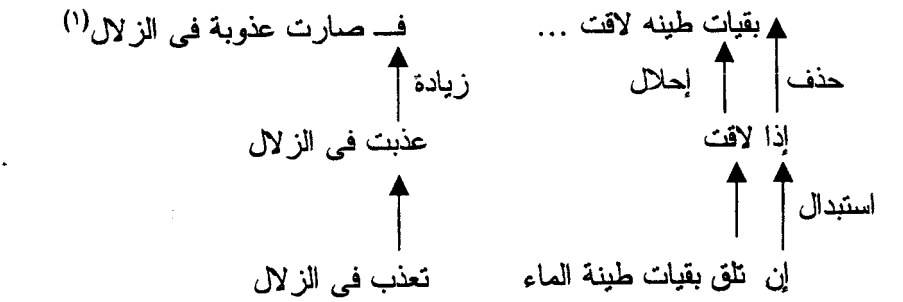

النمط الخامس :

جاء هذا علي صورة ما يعرف بأسلوب القصر، إلى تستخدم فيه أداة النفي مـــع (إلا) والحقـــيقة أن هـــناك تقارباً بين دلالة تركيب أسلوب القصر والتركيب الشـــرطي بوجه عام. فإن كان الجواب مقيداً بالشرط ، فإن ما بعد (إلا)، وهو يقوم مقام الجواب، مقيد بما قبلما الذي يقوم مقام الشرط .

ونسبة تكرار هذا النمط حوالي (٤٠/.) وله صورتان :

أ- [لا + فعل ماض + إلا + فعل ماض]

ومن ذلك قول المتنبي :

وَلا ذَكَـــرْتُ جَمِـــيلاً مِـــنْ صَـــنائِعِها إلاَّ بَكَـــيْتُ، ولا ودٌّ بِـــلا سَـــبَبِ [2]

والبنية العميقة لهذا التركيب هي :

(إن أذكر.....أبك.....)

---

(١) لـــيس من الضرورى أن نتصور أن هذه الإجراءات والتحويلات أدركها المتنبى وقام بها ، ومن جهة أخرى لا يمكن أن ننكر وقوع هذه التحويلات ، ولكننا يمكن أن نرجع ذلـــك إلى الملكة اللغوية عند المتنبى وغيره ممن كانت لديهم ملكة لغوية. هذه الملكة المدربة بتجاربها السابقة ، قامت بهذه الإجراءات بفضل ما لديها من تجارب بصورة سريعة قد لا تلاحظ ، كما تلاحظ المراحل التى يمر بها الإحساس بالألم عند الإنسان ، فهى تحدث بصورة سريعة نتيجة توافق وانسجامها. ونحن نشرح ما تم من عمليات لغوية بصورة بطيئة (مجزاة) ، كما يشرح الطبيب كيف تتم عملية الإحساس بالألم.

(٢) ٩٢/١ وأنظر ايضاً ٩٥/١ .

بيد أن هذا التركيب بدلالته علي الاحتمال، وعدم القطع بوقوع الحدث في الشرط والجواب مستقبلاً ، لا يفى بقصد المتنبي، ولا يلبى المعني الذي يتطلع إليه. إن المتنبـــي يريد أن يعبر عن قمة الوفاء، وصدق الإحساس بالجميل، والإقرار به، ومحاولـــة رده بأي صورة، ولو كان ذلك في صورة بكاء، اعترافاً بفضل صاحبة عليه .

لـــذا كـــان لابـــد مـــن حدوث تحويلات في البنية العميقة المذكورة أنفاً. فاســـتبدلت أداة الشـــرط (إذا) بدلالـــتها المعـــروفة بأداة الشرط (إنْ). وتطلب ذلك استبدال صيغة الفعل الماضي في جملتي الشرط والجواب بصيغة الفعل المضارع ، حتـــى ينسجم ذلك مع معني (إذا)، والمعنى العام للتركيب ، فيدل علي القطع بوقوع الحدث، دلالة زمنية مستقبلية مقترحة ، فيصبح التركيب .

(إذا ذكرت..... بكيت)

ويظـــل التركيب السابق بعيداً عن المعني الذي يتطلع إليه المتنبي ، والذي يفـــي بصـــدق إحساسه بالوفاء ، ورد الجميل . فلابد من إجراء تحويل آخر فيه ، يصعد به إلي المعني المراد، فاستبدلت أداة الشرط (كلّما) الدالة علي تكرار الحدث بأداة الشرط (إذا) فبات التركيب

(كلما ذكرت .....بكيت)

وبلـــغ التصـــعيد الدلالى المتزامن مع التحويلات في التراكيب ذروته عند المتنبـــي عـــندما اختار البنية السطحية المذكورة في البيت. فكأنه وجد في الحصر والتنفـــيذ ضالته ، فأختاره ليفى بالمعني الذي يقصد، فاستبدل أداتا التقييد والحصر (لا.....إلا...) بأداة الشرط (كلما).

ويمكن توضيح هذه التحويلات في الرسم التالي :

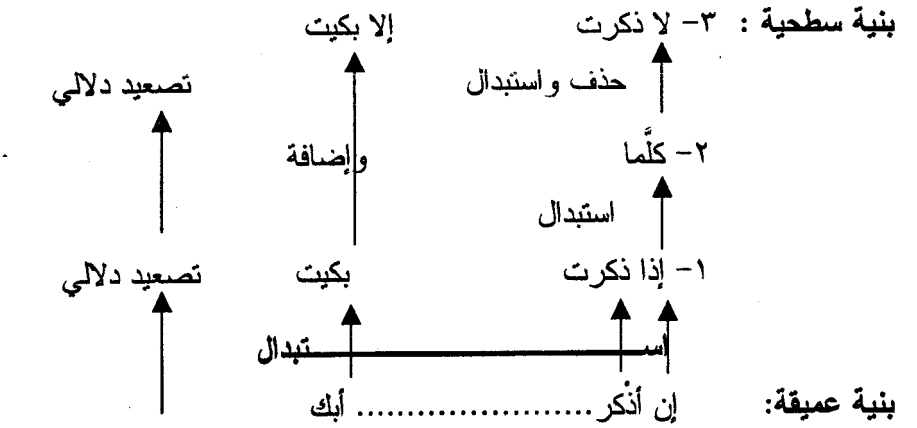

ب- [لا + فعل مضارع + إلا + (و) الحال+ جملة اسمية _ مبتدأ +خبر)] .

كما في قول المتنبي :

ولا تَعَدُّكَ صَوَّاناً لمُهْجَتِها إلاَّ وَأَنْتَ لها فى الرَّوْعِ بَذَّالُ (١)

وتختلف هذه الصورة عن الصورة السابقة من عدة أوجه :

أ- تقدم ما يفيد الجواب علي ما يفيد الشرط .

ب- جاء تركيب الجواب جملة اسمية مسبوقة بواو الحال .

جـ- جاء الفعل في الجواب مضارعاً .

والبنية العميقة لهذا التركيب هي (إنْ لها .....تصنْ مهجتها) وقد مرَّت هذه البنية بمراحل تشبه المراحل التي مرت استبدال ، وبات التركيب (إذا بذلت....صنت) ، ثم حدث استبدال للأداة الشرطية، فأصبح التركيب (كلَّما بذلت..... صنت .....) والتفسير الدلالي لهاتين المرحلتين مشابه أيضاً للتفسير الدلالي للمرحلتين السابقتين في الصورة السابقة .

أما في المرحلة الثالثة ، فقد تقدَّم فيها ما يفيد الجواب علي أداة الشرط وما يفيد جملة الشرط، للتركيز علي القيمة الدلالية للجواب. فصيانة المحبوبة والحفاظ علي روحها عمل يفوق بذل أغلي وأعز شئ عند المحب، فيأتي التركيب

---

(١) ٢٨٧/٣، وانظر أيضاً ٢٨٦/٣ ، ١٧١/١ .

موافقاً لهذا المعنى في الصورة التالية :

(صنت مهجتها كلما بذلت...)

ويتصاعد المعنى في نفس المتنبي مع تصاعد مشاعره، فيتحول التركيب لينسجم مع المعني المراد. فقد تخطي المعني مسألة التكرار في الصوْن والتكرار في البذل، إلى أن أصبحتا صفتين لازمتين في المحبوب لكثرة قيامه بهما. فاستبدلت صيغتا المبالغة (صوّان) و (بذّال) بالفعلين، فجاء التركيب علي الصورة التالية :

[صوّان لمهجتها كلّما بذّال....]

ولما تحوّل الفعلان إلى مشتقين دالين على كثرة ملازمه الحدث للمُحْدث، كان لابد من وضعهما في تركيب مناسب للدلالة ومعبرٌ عنها، فزيد الفعل (تعدُ) والزمن المضارع الدال علي تكرار الحدث ، والمتطلب لمفعولين، كانا في الأصل جملة أسمية تفيد معني التقرير كما زيد الفعل (كان) الناقص مع الاسم والخبر، لإفادة دلالة تأكيد البذل، فأصبح التركيب :

[تعدُّك صوّاناً.... لما كنت بذّالاً ...]

وفي مرحلة تالية أراد المتنبي تضييق القيد والحصر بصورة أكبر مما يكون في التركيب الشرطي، فاستبدل (لا...إلا) الدالين علي المعني المقصود بأداة الشرط(كلما)، فأتي التركيب علي هذه الصورة (ولا تعدُّك صوّاناً لمهجتها إلا كُنت بذّالاً ....] .

ويبدو أن التركيب الدال علي الشرط في التركيب السابق غريب فأراد المتنبي أن يماثل بين تركيب الجواب المقدم، وتركيب الشرط في الدلالة علي الحاضر والواقع والحال، فزاد الواو الدالة علي الحال ، وحذف الفعل الناقص(كان) ليتخلص من القيد الزماني الدال علي الماضى، وليأتي بالتركيب الاسمي المفيد معني التقرير والواقع والحال. فجاء علي هذه الصورة :

[ولا تعدُّك صوّاناً..... إلا كُنت بذّال....].

ثـم حـدث إعـادة ترتيب في متعلقات صيغة المبالغة (بذَّال) لإفادة معنى التخصيص ، ففصل بها بين المبتدأ والخبر .

ويمكن توضيح ذلك في الرسم التالي :

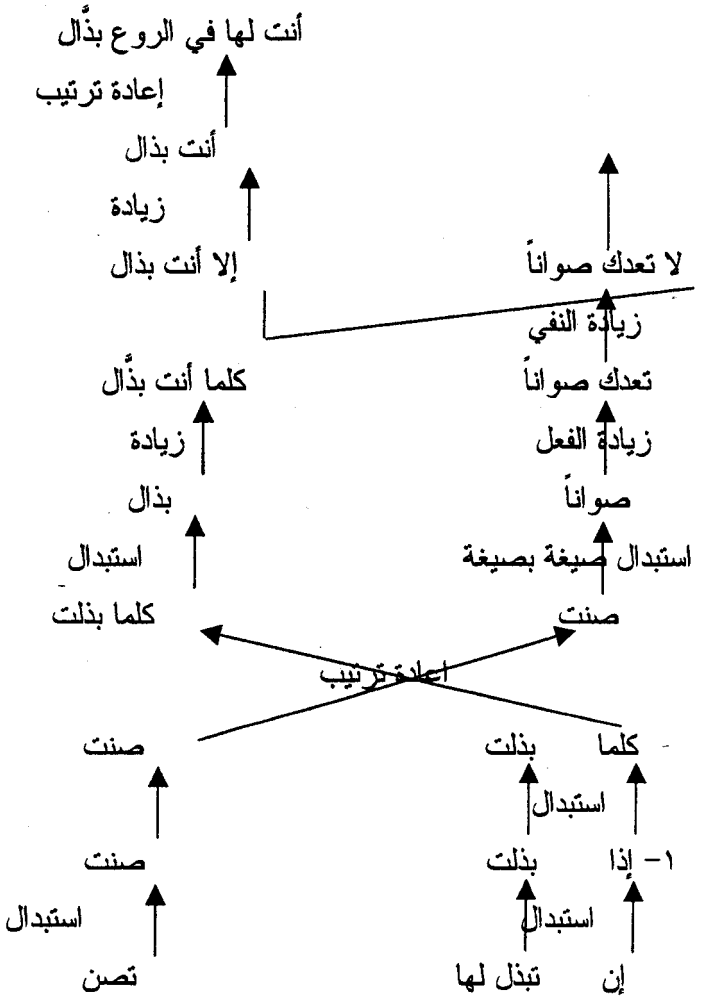

النمط السابع :

وهو يتركب من: [فعل ماض + فـ + فعل مضارع]

ونسبة تكراره حوالى (اثنان بالمائة). ومن ذلك قول المتنبى :

تَشَبّه الخَفَرَاتُ الآنِسَاتُ بِهَا فى مشْيِها فَيَنَلْنَ الحُسْنَ بالحِيَل (١)

والبينة العميقة لها التركيب هى: [إن تَشَبّه الخَفَرَاتُ.. ينلن] بيد أن هذا التركيب بدلالة الأداة ، واستخدام صيغة المضارع لا تفى بغرض المتنبى الذى يقصد إلى تحقيق الأمر ووقوعه ، مما يتطلب إجراء تحويلات فى التركيب.

فاستبدلت أداة الشرط (إذا) بأداة الشرط (إنْ) ، كما استبدلت صيغة المضارع فى جملة الشرط بصيغة الماضى لتناسب دلالة (إذا) فأصبح التركيب (إذا تَشَبّه الخَفَرَاتُ.. ينلن) .

هذه النقلة الزمنية التى جعلت الفعل المحقق يقع مستقبلا ، ربما هى أيضا حالت دون غرض المتنبى الذى أراد أن يقرر وقوع الشيء وحدوثه بلا انتظار أو توقع ، مما حدا به إلى حذف أداة الشرط (إذا) وبقاء صيغة الماضى فى الشرط ، وهى عنصر دلالى فعال. كما أضاف حرف الفاء فى جواب الشرط ، للدلالة على العلاقة الشطية بين الجملتين – وتعويض دلالى عن أداة الشرط المحذوفة ، فجاءت البية على ما أتت عليه فى البنية السطحية.

ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالى:

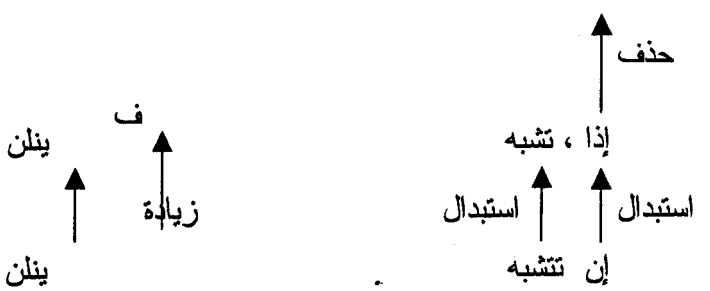

---

(١) ٧٧/٣ ، وأنظر أيضا ٣٣/٣.

النمط الثامن :

وهو مركب من : [فعل ماض + فـ + جملة اسمية]

ونسبة تكراره فى ديوان المتنبى حوالى (اثنان بالمائة) ، ومن قول المتنبى:

قَسـا فَالأُسْـدُ تَفْـزعُ مِـنْ قُـوَاهُ ورَقَّ فَـنَحْنُ نَفْـزَعُ أنْ يَذُوبا (١).

البنية العميقة لصدر البيت :

(إنْ يقس الممدوح تفزعْ الأسد...)

والبنية العميقة لعجز البيت:

(إنْ يرقَّ نفزعْ ...)

غير أن البنيتين العميقتين لا تنسجمان مع دلالة المدح ، لما فيهما من دلالة الشـك والاحتمال فى وقوع الحدث مستقبلا. ومن ثم تطلب غرض المدح تحويلات فـى التـركيب ليتناسـب مع الغرض الدلالى له ، فاستبدلت أداة الشرط (إذا) بأداة الشرط (إنْ) ، واستبدلت صيغة الماضى فى جملة الشرط بصيغة المضارع ، فجاء التركيبان من على هذه الصورة (إذا قسا الممدوح تفزع الأسد/ إذا رقّ نفزعْ).

وأراد المتنبـى أن يلقـى مـزيدا من الضوء على فاعل الواقع فى جملة الجـواب فى التركيبين ؛ لأن فى التركيز عليه إضافة دلالية لما يتجلى به الممدوح مـن وصـف يليق به ، فقدم الفاعل على الفعل ، فتحول الجواب فى التركيبين من جملـة فعلـية ، تفيد تجدد الحدوث إلى جملة اسمية تفيد الإقرار والثبات. وهو ما يناسـب مجـال المـدح هنا ، حيث جعل الفزع للأسد ولأحباب (٢) الممدوح أمراً مقررا ثابتا لا شك فيه ، فجاء التركيب:

---

(١) ١/ ١٤٢.

(٢) الفزع لأحباب الممدوح عليه من شدة كرمة ، وجزيل عطائه وإرهاف مشاعره ، حتى خشـوا عليه الهلاك. وقد فرق بين دلالتى الفزع فى البيت استخدم الفعلين (قسا / رق) ، حـيث وضـح الفعل (قسا) دلالة الفزع فى صدر البيت لما من فزع ورعب ، أما الفعل (رقّ) فقد بين أن الفزع فى عجز البيت فيه دلالة الخشية على المحبوب ، والحرص عليه.

[إذا قسا الممدوح فالأسد تفزع وإذا رقّ فنحن نفزع]

ثم حذف أداة الشرط (إذا) فى التركيبين ، لإسقاط الزمنية المستقبلة والدلالية على الترقب ، مقررا الحقيقة والواقع الذى لا يعرف الشك أو الاحتمال. فجاء التركيب كما هو فى البنية السطحية.

قَسَا فَالأُسْدُ تَفْزَعُ ورَقَّ فَنَحْنُ نَفْزَعُ[1]

ويمكن توضيح هذه التحويلات فى الرسم التالى:

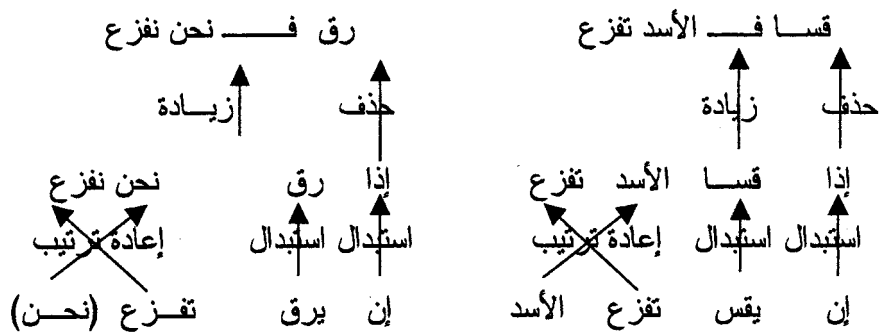

النمط التاسع :

ويأتى على الصورة التالية :

[فعل مضارع + فـ + أداة النفى (لا) + جملة اسمية]

وقد ورد مرة واحد فى قول المتنبى:

يُعْطِى فَلا مَطْلَةٌ يُكَدِّرُها بِها ولا مضنّهُ يَنكَدُها[2]

والبنية العميقة لهذا التركيب [إنْ يعط لا يكدر مطلُه عطايا].

---

(١) نلاحظ أن الفاء الموجودة فى جواب الشرط هى الفاء الرابطة ، التى تربط الجواب بالشرط وفق قواعد نحوية معروفة ، ومن ثم فلا حاجة إلى الفاء المؤذنة بالشرط التى كانت تستخدم باطراد فى مثل هذه التراكيب عوضاً عن اداة الشرط ، ومؤذنة بالعلاقة الشرطية بينهما بين الجملتين إذ يأبى الذوق العربى دخول حرف على حرف ، كما اكتفى بالعلاقة الشرطية المعنوية بين الجملتين.

(٢) ١/ ٣٠٤.

وهـذا التـركيب العمـيق القائم على الاحتمال والشك لا ينسجم مع مدح الممـدوح بالكـرم والعطـاء دون مطـل أو مَنّ . فحذفت أداة الشرط الدالة على الاحـتمال ، وبقـى الفعـل المضارع الدال على استمرار العطاء وتجدده ، فجاء التركيب على الصورة التالية: (يعطى فلا يكدر مطله عطايا). وعوض عن الأداة الشـرطية بالفـاء المـؤذنة بالشرط ، والدالة على علاقة التعليق الشرطى . وأراد المتنبـى أن يـؤكد أن المطـل الممدوح يختلف فى دلالته عن المطل عند الإنسان العادى ، فهو عند الممدوح لا يفقد لذة الإحساس بالعطاء ، وأثره الطيب فى النفس، فقـدم (المطـل) الفاعل على الفعل (يكدر) ثم اقتصد فى اللغة فاكتفى بالإشارة فى المفعـول بالضمير الدال عليه. فجاء التركيب على صورة البنية السطحية (تعطى فلا مطلة يكدرها].

ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي :

بنية عميقة :

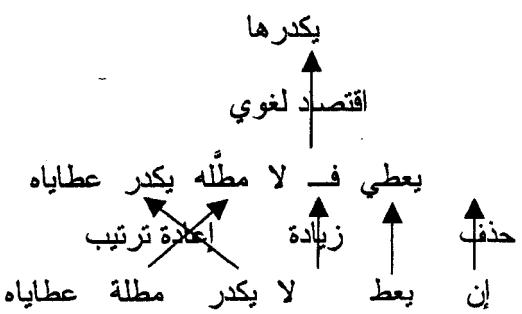

النمط العاشر :

وهو يتكون من :

[فعل ماض+ فـ + جملة اسمية (مبتدأ + خبر شبه جملة)]

وقد ورد مرة واحدة في قول المتنبي :

أتَـتْهُنَّ المُصِـيبَةُ غَـافِلاتٍ فَدَمْـعُ الحُـزْنِ فِـي دَمْـعِ الـدَّلالِ[1]

---

(١)٣/١٧.

وهذه البنية السطحية محولة عن بنية عميقة هي :

(إنْ تأتهن..... تر دمع العين ....)

ثم تصاعد المعني من الافتراض إلى إمكانية التحقيق مستقبلاً، فأستبدل أداة الشـــرط)إذا) بأداة الشرط (إنْ)، وصيغة الماضي بصيغة المضارع فجاء التركيب علـــي الـــنحو التالي (إذا) أتتهن المصيبة....رأيت) . ويستمر المعني في تصاعده فينـــتقل مـــن إمكانية التحقيق إلى الوقوع الفعلي للحدث ووصفه، فيتحول التركيب الســـابق إلـــى التـــركيب التالي: (لما أتتهن المصيبة ....رأيت...)، باستخدام أداة الشـــرط (لَمـــا الدالة علي التعليق التقريري) ويصعَّد المتنبي المعني بصورة أكبر، لتظهـــر الصـــورة أكثـــر وضـــوحاً وتجسيداً، فكلما اقتربت الصورة من الحقيقة ، والمعنـــي إلـــى الواقع كان الأمر أكثر إقناعاً، وكانت الصورة أشد وضوحاً وبياناً، فحـــذف المتنبـــي أداة الشرط وعوض عنها الفاء التي قامت بربط الجملتين، وبيان معنـــي التعلـــيق، ثـــم حذف الفعل في جملة الجواب لدلالة السياق عليه، ولإلباس الجواب معني التقرير والحال .فجاء التركيب علي الصورة التي استخدمها المتنبي.

ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي :

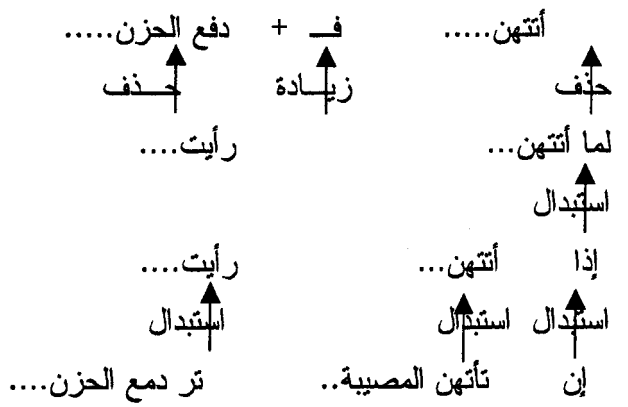

النمط الحادي عشر :

ويتكون من :

[ظرف زمان + مصدر (مضاف إليه)⟵ فعل مضارع]

وقد ورد مرة واحدة في قوله :

كَـأنَّ الحُـزْنَ مَشْـعُوفُ بِقَلْبِـي فَسَـاعَةَ هَجْـرِها يَجِـدُ الوِصَالاَ (١)

التـركيب في الشطر الثاني محول عن بنية تحتية هي (إنْ تهجرني يصلْ الحزن قلبي) .

وقد تم إجراء تحويل في البنية العميقة، لتنسجم مع تصاعد المعني في نفس المتنبـي معبراً عن وقوع الهجران . وما يترتب عليه ويتعلق به من وقوع الحزن فـي القلب . وقد يحدث ذلك في البداية مرات معدودة، فاستبدلت أداة الشرط (إذا) بأداة الشرط(إنْ)، واستبدل نعها صيغة الماضي في جملتي الشرط والجواب بصيغة المضارع، فجاء التركيب علي هذه الصورة (إذا هجرني وصل الحزن قلبي) بيد أن عملـية الهجران تتكرر، فيتكرر معها وصال الحزن للقلب، وأشار المتنبيّ إلي ذلك باستخدامه لكلمة (مشعوف) الدالة علي تكرار الحدث لمرات كثيرة، ومن ثم تتطلب المعني المتصاعد في نفس المتنبي استخدام أداة دالة علي ذلك، فأستبدل أداة الشرط (كلَّما) بأداة الشرط(إذا)، فجاء التركيب. (كلما هجرتني وصل الحزن قلبي) .

وأشـتد ارتباط الحزن بالقلب حالة هجران المحبوبة، فنقل المتنبي لنا ذلك في صورة أقرب إلي التشبيه التمثيلي، فالحزن يجلس مراقباً متنمراً، ينتظر اللحظة التـي يقـع فـيه الهجر ،فإذا وقع انقضَّ علي القلب جالساً مستمتعاً بهذه الفرصة والغنيمة التي أتاحها له الهجران. ولكي ينسجم المعني مع التركيب لجأ المتنبي إلى إجراء بعض التحويلات في التركيب الأخير ، يمكن توضيحها فيما يلي :

١- اسـتبدل ظرف الزمان (ساعة) بأداة الشرط (كلَّما) ليدل به علي ترقب الحزن لوقـوع الهجران ، فوصل الحزن للقلب يبدأ مع اللحظة الأولي التي يقع فيها

---

(١) ٣/٢٢٤ .

الهجر. كما نلاحظ أيضاً في الظرف دلالة التعليق مع دلالة الزمن .

٢- استبدل المتنبي المصدر ، وما يتعلق به بالفعل الماضى في جملة الشرط (هجرتني)، لما يتطلبه الظرف من وقوع المضاف إليه، في صورة اسمية دالة علي الحدث بلا زمن ، اكتفاء بدلالة الظرف الزمنية الدالة علي المعني الذي وضحناه من قبل .

٣- وسع المتنبي التركيب بزيادة الفعل المضارع(يجد) موضحاً به حرص الحزن علي أن يخلو بلقب المتنبي، ولترقبه لحدوث الهجران، فعندما تقع هذه اللحظة ، فإنه يجد شيئاً ثميناً .

٤- استبدل المتنبي المصدر الصريح(الوصال) بالفعل المعبر عنه(وصل) لينسجم مع تركيب الجواب الذي استخدم الفعل (يجد)، الذي يتطلب مفعولاً به اسماً دالاً علي الحدث مجرداً من الزمن، اكتفاء بالزمن الموجود في الفعل المذكور، فجاء التركيب في البنية المذكورة في بيت المتنبي :

ويمكن توضيح ذلك في الرسم التالي :

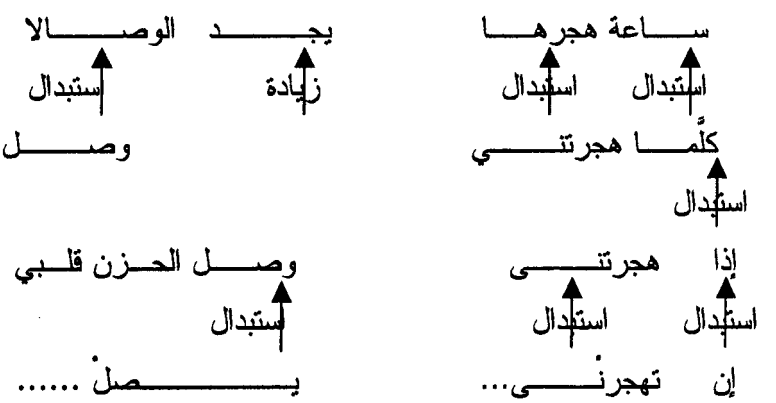

النمط الثاني عشر :

ويتكون من :

[ما يدل علي الجواب + ما يدل علي الشرط (فعل ماض + أو (حرف عطف) + فعل ماض)] وقد ورد مرة واحدة في قول المتنبي :

وأُثْنِـــي عَلَـــيْهِ بآلائِـــهِ وأَقْـــرُبُ مِـــنْهُ نَـــأى أو قَـــرُبْ (١)

هذه البنية السطحية محولة عن البنية التحتية: (إنْ ينأ أقربْ، وإنْ يقربْ أقربْ)

وهـذه البنية العميقة دالة علي حدوث حالتين متضادتين في المستقبل، لهما نتـيجة واحدة. ويتطلب قانون الاقتصاد اللغوي الجمع بين حدثين متضادين واحدة فـي تركيب واحد، وحذف ما هو زائد. فحذف أحد الجوابين لدلالة الثاني عليه كما اسـتبدلت أداة العطف) أو) التي تفيد استقلالية كل حالة، وعدم الجمع بين الحالتين فـي وقت واحد، بأداة العطف (و)، فبات التركيب (إن ينأ أو إن يقربْ أقرب أنا مـنه) ، ثـم يتصاعد المعنى ليدل علي الإصرار علي حدوث الجواب (القرب) في كلـتا الحالتـين، حتـي ولو كانت إحداهما قاسية لا تتطلب القرب. ومن ثم تتطلب الأمر تغيراً في التركيب موافقاً لهذا المعنى، وذلك بزيادة واو قبل أداة الشرط، دالة علي معني الرغمية، وهذا بدوره يتطلب استبدال صيغة المضارع في جملة الشرط بصـيغة الماضـي لينسـجم المعني، وتبقى صيغة المضارع في الجواب دالة علي استمرارية حدوث الجواب في كل حال، فيصبح التركيب :

(وإنْ نأي أوْ قربْ أقرب أنا منه)

وينـتقل المتنبي بالمعني من الافتراض في المستقبل ثم الارتقاء بالاحتمال إلـى الإقرار الحقيقي الحال أو المستقبلب، إلي الحقيقة اللازمنية (دون تحديد زمن محـدد) فحدوث البعد أو القرب من المحبوبة ماضياً أو حالياً أو مستقبلاً، لا يقابله الشـاعر إلا بشئ واحد، هو القرب .وهذا التصعيد الأخير في المعني تطلب حذف أداة الشـرط مـع الواو الدالة علي الرغمية، والإكتفاء بصيغة الماضي غير محددة

---

(١) ١/١٠٠.

الزمن، كما تطلب المعني أيضاً تقديم الجواب للتأكيد علي حدوثه في كل الأحوال ، فجاء التركيب علي الصورة التي أتي بها المتنبي

ويمكن توضيح هذه التحويلات بالرسم التالي :

(أقربُ منه نأي أو بعد)

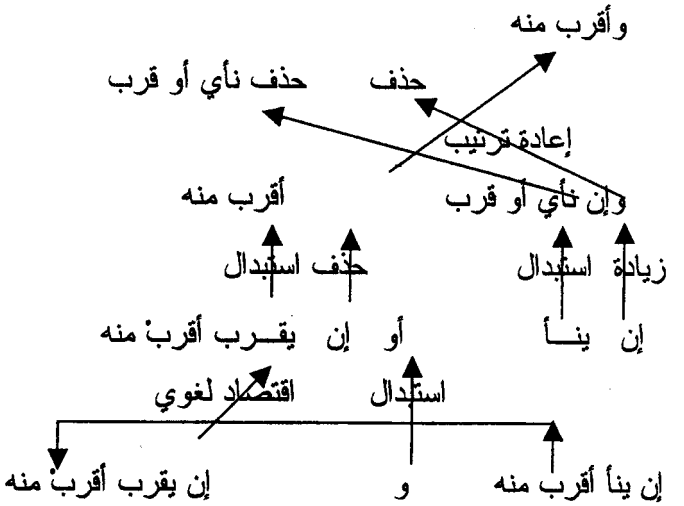

النمط الثالث عشر :

مـــا يـــدل علي الجواب مقدم (فعل ماض)+ إنَّ + ما+ ويدل علي الشرط (فعل ماض) ورد مرة واحدة في قول المتنبي :

لـــولا الجهالـــةُ، مـــا دلفْـــتُ إلـــى قـــومٍ غـــرقت وإنَّمـــا تفلـــوا [١]

والبنـــية العميقة لهذا التركيب هي (إن تفلوا يغرق)، ثم انتقل المعني من الشـــك والاحـــتمال إلي القطع بالحدث المتكرر بتكرار الحدث فأستبدل الأداة (إذا) بـــالأداة(إنْ)، كمـــا استبدلت صيغت الماضي في جملتي الشرط والجواب بصيغتي المضارع فبات التركيب(إذا تفلوا غرقت)

ثم تقدم الجواب علي الشرط؛ لبيان كثرة عدد هؤلاء القوم، ولبيان أنه بأقل

---

(١) ٣٠٩/٣ .

شئ منهم وأحقره يجعل الخصم في حيرة من أمره، ضعيفاً لاحول له ولا قوة .

ولمـــا كانـــت الصـــورة غير مألوفة وغريبة، أراد المتنبي أن يضعها في تـــركيب غيـــر مألـــوف ، فـــتجاوز القـــيد الشـــرطي المعروف إلى قيد آخر، قيد الاختصاص، أداته(إنما) يليها جملة الشرط، لتوضيح أن السبب الحقيقى للغرق ليس للطـــوفان ولا الغوص في البحر، وإنما لكثرة تفلهم. فجاء التركيب: (غرقوا وإنما تفلوا) .

غرقت و إنَّما تفلوا

زيادة للتنبيه ↑ ↑ استبدال

غرقت إذا تفلوا

إعادة ترتيب

إذا تفلوا غرقت

استبـــــدال

إن يتفلوا تغرقْ

الخاتمة

وبعد ،

فـــإن قوة الأساليب اللغوية وسلامتها إنما تكمن فى مدى الانسجام والتوافق بـــين المعنـــى الذى يريده المتكلم ، واستخدام المفردات والأساليب اللغوية ، فيأتى معنى الشرط منسجماً مع التركيب الشرطى النحوى ، ومعنى الاستفهام متوافقا مع أســـاليب الاســـتفهام ، ومعنى التقرير متوازياً مع التراكيب التقريرية ... إلى غير ذلـــك. ولكـــن قد يقوى المعنى ، وتسمو الدلالة ، فتخرج عن النمط الموضوع لها، وتأتـــى فـــى صورة جديدة ، تختلف عن صورتها القديمة. ولعل ذلك تنبيه للقارئ أو الســـامع إلى ما طرأ على المعنى من قوة أو رقى. وهنا تكمن براعة الأديب فى صـــياغة المعنى بصورته الجديدة فى تراكيب قد يبدو ظاهرها مختلفا عن باطنها ، ولكـــن بشيء من التأمل فى المعنى والتدقيق فيه يمكن معرفة سبب مجيء المعنى على الصورة التى أتى عليها.

ولـــيس هذا غريبا على العربية ، فالتراث اللغوى العربى يحوى كثيرا من الأساليب التى تختلف دلالتها عن الصياغة اللغوية التى سبقت فيها ، ووضعت لها، وذلـــك لعلـــه ذكـــرناه آنفا . وقد أشار إلى هذا نحاة العربية فى غير موضع ، كما لامســـنا ذلك فى عرضنا للتراكيب التى تحوى دلالة الشرط المتعارف عليها ، كما ســـاعدت النظـــريات اللغوية الحديثة ، وبخاصة النظرية التحويلية فى فهم ما طرأ علـــى المعنـــى مـــن تجديد يتطلب تغييرا فى الصياغة والتراكيب ، ليحدث توافقا وانسجاما بين الدلالة والتركيب.

ومـــع ندرة أنماط التراكيب التى لها دلالة شرطية عند نحاة العربية وقلتها عـــند المتنبـــى مقارنة بالتراكيب الشرطية المعروفة على كل حال – تمثل ظاهرة تعبيـــرية ملموســـة ، دعّمها المتنبى بأمثلته فقوى فى نفوسنا براعة اللغة وقوتها ، ومدى استجابتها لكل جديد يطرأ على المعنى الأصلى.

ثبت بالمصادر والمراجع العربية

١- الأشباه والنظائر – السيوطى – دار الكتاب العربى – بيروت ، ط٣ ، (١٩٩٦) .

٢- الأصول فى النحو – ابن السراج – تحقيق. د. عبد الحسين الفتلى – بيروت ، ١٩٨٥م.

٣- الإيضاح العضدى – أبو على الفارسى – تحقيق د. حسن شاذلى فرهود – بيروت ، (١٩٨٨).

٤- الإيضاح فى علوم البلاغة – القزوينى – تحقيق د. عبد المنعم خفاجى – بيروت ، ١٩٨٥م.

٥- التطور النحوى للغة العربية – برحشترا سر – القاهرة ، ١٩٨٢م.

٦- الجمل فى النحو – الخليل بن أحمد – تحقيق د. فخر الدين قباوة – مؤسسة الرسالة – بيروت ، (١٩٨٥م).

٧- الجمل فى النحو – الزجاجى – تحقيق د. على توفيق الحمد – مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٩٨٥م.

٨- الجنى الدانى فى حروف المعانى – تحقيق د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل ، بيروت ، ١٩٩٢م.

٩- دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجانى – تحقيق محمود محمد شاكر – الخانجى ، القاهرة ، ١٩٨٤م.

١٠- ديوان أبى الطيب المتنبى – العكبرى – تصحيح مصطفى السقا ، إبراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبى – بدون تاريخ.

١١- سر صناعة الإعراب – ابن جنى – تحقيق د. حسن هنداوى – دمشق – ١٩٨٥م.

١٢- شرح المفصل – ابن يعيش – بيروت – بدون تاريخ.

١٣- شرح ديوان المتنبى – أبو العلاء المعرى – تحقيق عبد المجيد دياب – دار المعارف ، ١٩٨٦م.
١٤- ظاهـرة الحـذف فـى الدرس اللغوى – د. طاهر سليمان حمودة – الدار الجامعية – الإسكندرية ، ١٩٨٣م.
١٥- فى النحو العربى (نقد وتوجيه) د. مهدى المخزومى – بيروت ، ١٩٨٦م.
١٦- قضايا التقدير النحوى بين القدماء والمحدثين د. محمود سليمان قوت – دار المعارف ، ١٩٨٥م.
١٧- الكـتاب – سيبويه – تحقيق عبد السلام هارون – الهيئة المصرية العامة ، ١٩٧١م.
١٨- المستصفى فى علم الأصول – الغزالى – بولاق ، ١٣٢٢هـ.
١٩- المعنـى عـند الأصـوليين – د. طهر سليمان حموده – الدار الجامعية – الإسكندرية ، ١٩٨٣م.
٢٠- مغنى اللبيب – ابن هشام – تحقيق محى الدين الحميد – بيروت – ١٩٩١م.
٢١- مفتاح العلوم – السكاكى – بيروت – بدون تاريخ.
٢٢- الأنمـاط التحويلـية فـى النحو العربى – د. محمد حماسة عبد اللطيف – الخانجى – ١٩٩٠م.
٢٣- الـنحو العربى والدرس الحديث – د. عبده الراجحى – دار النهضة العربية – بيروت – ١٩٧٩م.
٢٤- النحو والدلالة – د. محمد حماسة عبد اللطيف – القاهرة – ١٩٨٣م.

المراجع الأجنبية:

1- **Fischer, Wolfdetrich**, Grammatik des Klassischen Arabisch. Wiesbaden(1987).

2- **Settekorn, Wolfgang**, Semantische Strukturen des Konditional-satze, Kornberg Tauns (1974).

3- **Wright, William**, Grammar of Arabic Language, Cambridge, (1951).

الدوريات الأجنبية : 1951 456789

1- **Davies, Eirian, C:** On the semantics of syntax, Croom Helm linguistics (1979) p. 146 - 175

2- **Peled, Y, Shai**, Conditional sentences without a conditional particle in classical Arabic Prose (Z.A.L.) B. 16 (1983).

3- **Tietz, Renate,** Bedingungs satze mit verschiebung ZDMG. B. 117 ((1967) p. 78-86 .